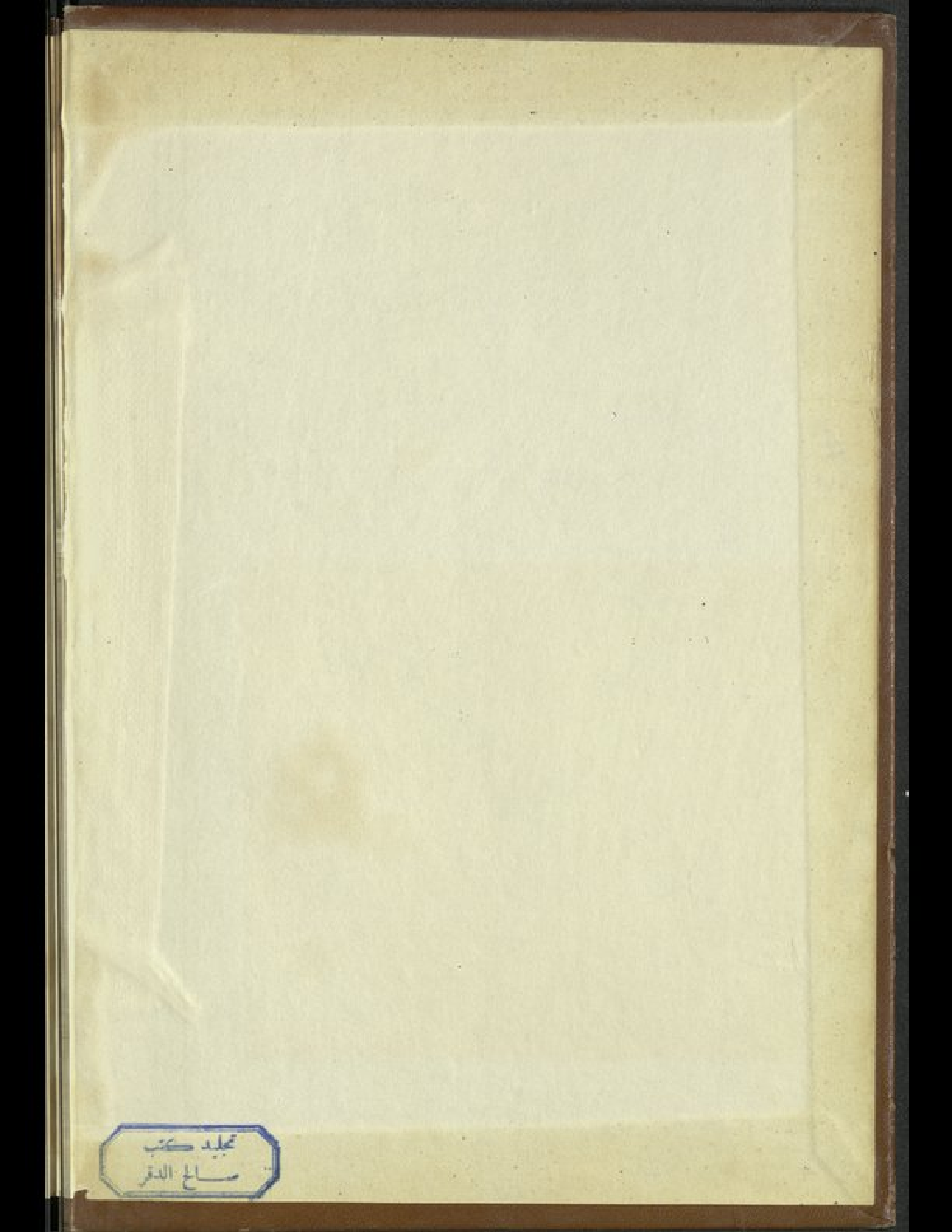
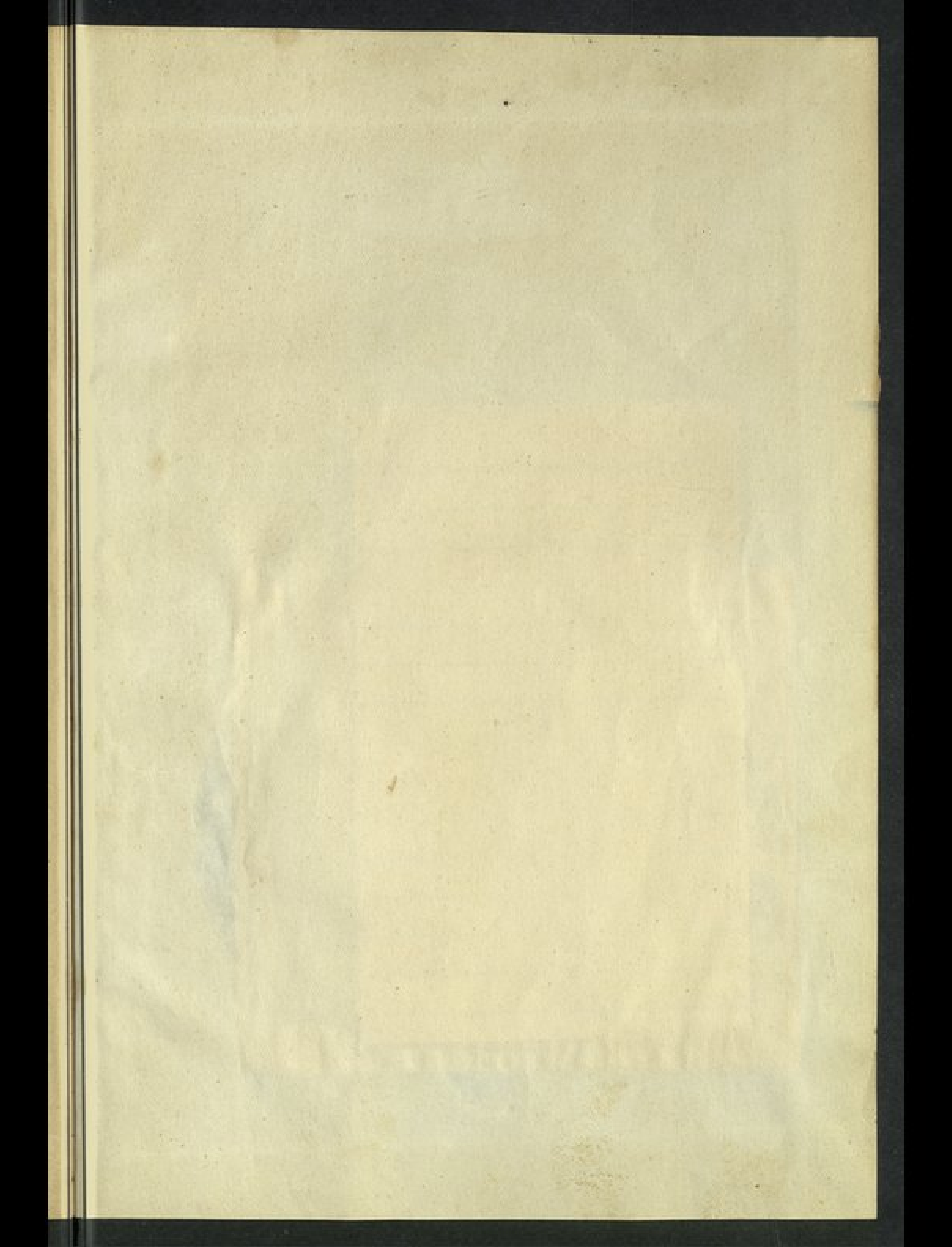
الاعظمي

الوحدة في الشرق


تجليد كتب
صالح الدقر





الوحدة في الشرق

الوحدة العربية ، الوحدة الاسلامية

الوحدة الشرقية ، الاتحاد الاسلامي المسيحي

تاليف

محمد حسن الأعظمي
عميد كلية اللغة العربية في الباكستان

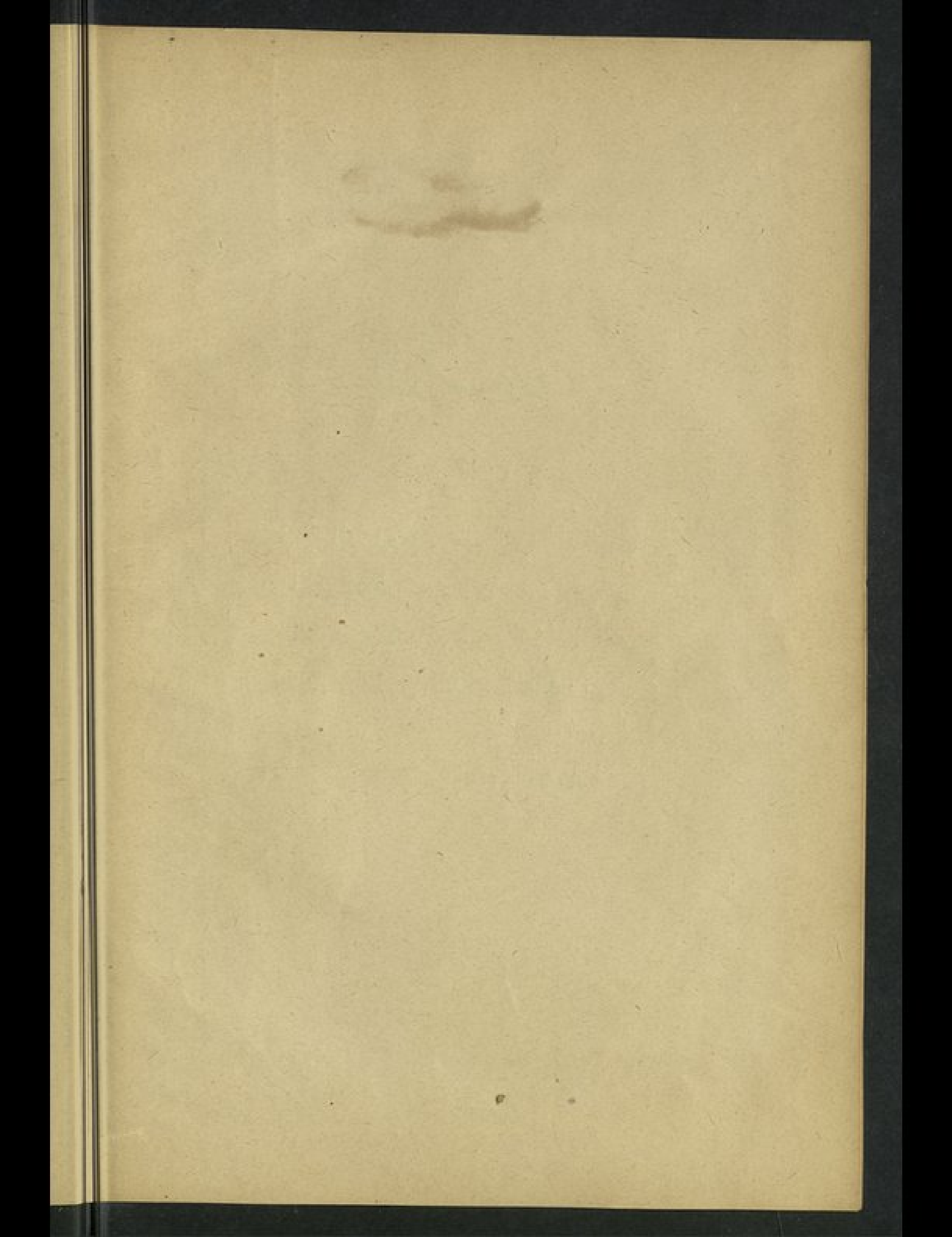
عبد الكريم محمد

الطبعة الاولى

١٩٥٠



دار الكشاف
للنشر والطباعة والتوزيع
بيروت - لبنان



مقدمة

كان من آثار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ان اتجه العالم الى الوحدة والتكتل ، بعكس ما كان من اثر الحرب العالمية الاولى ، فان العالم اتجه بعدها نحو الانفصال والتفرق ، حتى في الاجزاء الموحدة فعلا . ففي أوربا قضي على الوحدة الالمانية التي قام هتلر فيما بعد لاحيائها ، وفي يوغسلافية وفي آسية قامت الحركات الثورية ضد الخلافة العثمانية للانفصال عنها . وهكذا كان العالم بعد الحرب العالمية الاولى يميل الى انطواء كل دولة على نفسها .

اما بعد هذه الحرب .. الثانية .. فقد تغير الاتجاه كما ذكرنا فاصبح العالم ينزع الى الوحدة والتكتل حتى بين البلاد التي لا تربط بينها روابط محكمة .. بل ان البلاد التي كانت سياستها دائما موسومة بالميل الى التفرقة - خصوصا في مستعمراتها - اصبحت اليوم تدعو الى التكتل - اذا استثنينا بعض المسائل - ولعل القارىء قد عرف اننا نقصد بهذه البلاد انجلترا .. التي اعلن داهيتها (تشرشل) بعد انتهاء الحرب عن حاجة اوربا الغربية الى بقاء تكتلها وتوحدها ، فقام الاتحاد الاوربي الذي يضم البلاد الغربية . كما قام في شرق اوربا (الكومنفورم) بزعامة روسية .

وفي امريكة التي كانت بعد الحرب العالمية الاولى تتجه نحو العزلة وترك التدخل في شؤون العالم الا بقدر يسير قام بينها الآن وبين دول الاتحاد الاوربي وكندا وغيرها حلف الاطلنطي .

وهكذا تغير اتجاه الغرب ...

اما في الشرق فان الحال قد تغير ايضا بعد الحرب العالمية الاخيرة اذ تألفت جامعة الدول العربية كوسيلة للتكتل العربي او مقدمة للتكتل الشرقي أو الاسلامي . وظهر هذا التغير واضحا في تركية التي كان اساس ثورتها - على يد اتاتورك وعصمت اينونو - القضاء على الخلافة رمز التكتل الاسلامي - اصبحت اليوم

تعيد من هـذه الروابط ، فتعمل على نشر التعليم الديني وتعيد انشاء مجالس العلماء المسلمين ويدعو ساستها الى ضرورة تأليف كتلة اسلامية .

وقامت ايضا الباكستان تنادي بالوحدة الاسلامية وعقدت لذلك المؤتمرات العامة والخاصة وقام رجالاتها برحلات لهذا الغرض .

وفكرت بعض دول الشرق في تأليف كتلة تضم البلاد الشرقية وتولت زعامة هذه الفكرة الهندوستان فعقد المؤتمر الاسيوي من اجل ذلك بها .

***

فاذا كان الغرب قـد سار نحو التكتل والوحدة فان الشرق كان اتجاهه الى الوحدة والتكتل موجودا منذ امد طويل اي منذ ان عرف حقه واتجه الى العمل من اجل حريته واستقلاله ، لانه لمس ألا سبيل الى نيل هـذه الحرية ، وانتزاعها من ايدي المستعمرين ثم الى الابقاء عليها وتدعيمها .. الا بهذه الوحدة وذلك التكتل .

والشرق وان كان في اتجاهه الى التكتل والوحدة لم يأخذ صورة واحدة فاننا لو انعمنا النظر في هذه الصور لوجدنا انها ليست متباينة . . بل انها في الواقع يكمل بعضها بعضا . لقد اتخذ اتجاه الشرق ثلاثة اشكال هي : الوحدة العربية .. الوحدة الاسلامية ، الوحدة الشرقية .

ونحن في هذا الكتاب نقـدم للقارىء كل ما يتعلق بهذه الاتجاهات محاولين ابرازها على حقيقتها حتى يزول من الاذهان ما علق بها من خيالات وأوهام . ونحن نعتقد أن الوحدة لم تكن اكثر ضرورة لنا منها الآن وقد قدمنا للقارىء زيادة في الفائدة معلومات عن بعض البلاد التي تنتظمها هذه الافكار حتى يكون اكثر معرفة والماما بالموضوع . ولم نحرمه ايضا من معرفة افكار بعض القادة والزعماء ازاء هذه الاتجاهات والافكار .

***

واننا نعتقد انه اذا ما خلصت النيات وسارت هـذه الاتجاهات وفق طريقها البين الواضح فانها ستكون سببا هاما من اسباب تدعيم السلام وتحقيق التوازن الدولي ونيل الشرق مكانه الواجب أن يكون فيه والذي بـه يستطيع ان يساهم بالنصيب الاوفى في تقرير مصير العالم .

ونرجو ان نكون قد وفقنا في هذا العرض المبسط والله ولي التوفيق .

المؤلفان

الوحدة العربية

لعل اول ما يجب ان نبدأ البحث به هو الحديث عن الوحدة العربية لان الوحدة العربية قد تمخضت عن مولود اتخذ صبغة رسمية فعلية هو « الجامعة العربية » .

ولكي تستطيع ان تلم بالموضوع الماماً كافياً فاننا نقسمه اقساماً ثلاثة :

١ - تاريخ الوحدة العربية ، نشأتها ، اهدافها ، تطوراتها ، اسباب قيامها ، موقف النهضات الوطنية الخاصة بكل بلد عربي من فكرة الوحدة .

٢ - الخطوات الرسمية التي مرت بها فكرة الوحدة العربية وانشاء جامعة الدول العربية ، اغراضها ومقاصدها ، موقفها من التكتل الشرقي والاسلامي .

٣ - ما قامت به الجامعة العربية منذ تأسيسها من اعمال وما وصلت اليه من تحقيق اغراضها ، الاعتراضات التي توجه اليها .

وقد توخينا ان يكون بحثنا هذا شاملاً موجزاً معتمداً على البيانات والوثائق الرسمية والحقائق التاريخية والمعلومات الشخصية حتى يكون مع الحق اينما سار ومع الحقيقة اينما وجدت .

تاريخ الفكرة

وجدت الدعوة الى الوحدة العربية أو الكتلة العربية منذ ان مزقت البلاد العربية .. واذا أردنا تحديداً تاريخياً لهذا ، رجعنا الى ذلك اليوم الذي حاول فيه بعض ساسة الترك القضاء على الوحدة العربية بل على انفسهم باتخاذهم موقف التعصب الجنسي ضد العرب وضد غيرهم من الاجناس التي كانت منضوية تحت لواء الخلافة العثمانية .

وتفصيل هذا ان البلاد العربية لم تكن ثائرة على الخلافة العثمانية لنعرة قومية او تعصب جنسي او قبلي كما يزعم بعضهم او يفهم بعضهم الآخر .. ولكن العرب كانوا ثائرين ضد الساسة الاتراك الذين صدرت عنهم النعرة الجنسية .. وليس ادل على ذلك من ان رجال الحركة العربية التي دعت الى الانفصال عن تركيا وتوحيد بلاد العرب كانوا مشتركين في الحركة الاصلاحية التي قامت في تركيا للمطالبة بالدستور والحقوق السياسية .. بل انهم كانوا في مقدمة المضحين في سبيلها . ولقد استشهد الامير محمد ارسلان في ساحة قصر « يلدز » حينما اراد الدخول الى السلطان

عبد الحميد ليبلغه قرارات مجلس المبعوثان الاصلاحية .

.. اذن كانت الحركة العربية في بدء امرها دعوة للاصلاح السياسي والاجتماعي مندمجة في الحركة العامة التي كانت قائمة في الامبراطوية العثمانية وفي تركية نفسها . وحينما جاء عام ١٩٠٨ ، وهو المشهور بعام الدستور في تاريخ الامبراطورية العثمانية ونجحت الحركة الدستورية باستجابة مطالبها ـ اتخذت الحركة العربية مظهراً خاصاً بها ، ذلك لان الاحزاب التركية الثورية لم تكد تتسلم زمام الحكم على الاساس الدستوري الذي جاهد في سبيله العرب معهم وفي طليعة هذه الاحزاب « حزب الاتحاد والترقي » .. نقول لم تكد هذه الاحزاب تتولى زمام الحكم حتى كفرت بمبادئها حيال الاجناس غير التركية واتجهت اتجاهاً قبلياً جنسياً فوضعت برنامجاً سموه « بالحركة الطورانية » يرمي الى سيادة الجنس التركي على ما سواه ، والقضاء على شخصية هـــذه الاجناس بمختلف الوسائل من محو لغاتها ونشر اللغة التركية مكانها وعدم تولي غير الاتراك في المناصب العامة ، الى غير ذلك من الاساليب التي كانت سبباً في القضاء على الامبراطورية كلها .

وما من دولة من الدول ظهرت فيها حركة التعصب الجنسي والقبلي الا كان ذلك نذير انهيارها .. فالدولة الاموية ما قضى عليها الا تعصبها الشديد للجنس العربي بل للامويين مـــن بين العرب . وكذلك الدولة العباسية تفتتت بسبب تعصب العناصر الحاكمة لاجناسها ، وما قضى على الالمان في الحرب الاولى والثانية الا التعصب الجنسي .

موقف النهضات الوطنية الخاصة من فكرة الوحدة العربية

يأخذ بعضهم على الحركات الوطنية الخاصة في بعض البلاد العربية وعلى نهضاتها التي قامت أنها لم تتخذ من فكرة الوحدة العربية هدفا اساسيا لها أو انها اغفلت امر التعاون مع اخواتها من البلاد العربية الاخرى لتخليصها جميعا دفعة واحدة من بين براثن الاستعمار والعمل معا في سبيل تحقيق فكرة الوحدة العربية المنشودة .

ومن رأينا ان الحركات الوطنية نفسها وان كانت خاصة بكل بلد الا انهـــا كانت لبنة من لبنات الوحدة وجزءاً منها ، ولم يلهها العمل على تخليص بلادها من الاحتلال الاجنبي والمستعمر الغاصب ـ عن فكرة الوحدة وتأييدها والعمل لهـــا .

ولم يحـــل دون اجتماع هذه الحركات – وان كانت كلها في الواقع متقاربة في الزمن – الا التفرقة ثم السياج الحديدي الذي احيطت بـه كل منها ثم اختلاف المستعمرين وتآمرهم على حصر هذه الحركات في نطاقها الخاص على الاقل ، ان لم يكن بالامكان القضاء عليها .

وان نظرة واحدة الى التطورات والاهداف لكل حركة من الحركات الوطنية الخاصة بكل بلد عربي واتجاهات زعمائها والقائمين بها ترينا مبلغ تغلغل فكرة الوحدة في الحركات الوطنية الخاصة . وترد الرأي القائل بان بعض البلاد العربية لم تسع الى الوحدة الا متأخرة .

الحركة المصرية

فالحركة المصرية كان زعيماها الاولان مصطفى كامل ومحمـــد فريد لا يكفان عن العمل من اجل استقلال مصر كما كانا يعتبران الوحـدة العربية أو الاسلامية غاية سامية يعتبر الاستقلال جزءاً منها وخطوة في سبيل تحقيقها – وخطب الزعيم مصطفى كامل في هذا الشأن مشهورة معروفة .

ولقد كان المرحوم محمد فريد يأمر شباب مصر المقيمين في اسطنبول بالاشتراك مع اخوانهم العرب في نواديهم وهيئاتهم التي كانت قائمة من ذلك الوقت للعمل من اجل وحدة العرب وتحقيق آمالهم ..

اما سعد زغلول فقد كان يرى ان لا سبيل الى وحـــدة البلاد العربية إذا كانت اجزاؤها غير مستقلة . وكلنا يعرف قوله « للنائب المحترم عبد الرحمن عزام » سعادة عزام باشا حينما طلب منه العمل عـلى ادخال فكرة الوحـــدة ضمن نطاق الحركة الوطنية المصرية : « صفر وصفر يساوي كم يا عزام .. » ؟

على ان هذا كان في بـــدء الحركة المصرية اما بعد ذلك فقد اخذت الاحزاب والهيئات المصرية تضع رسمياً ، وفي مقدمة برامجها واهدافها ، تحقيق الوحدة العربية . بل ان بعضها كان يرى ايضاً الى جانب هـذا ، العمل على تحقيق الوحدة الاسلامية .

الحركة السعودية

وحينما قامت الحركة السعودية في نجد كانت تهدف الى تحقيق مبادىء اصلاحية ، منها العمل على تخليص البلاد المقدسة التي هي متجه جميع المسلمين من النفوذ التركي الذي نحا نحو التعصب الجنسي .. وقد حققت هذه الحركة جزءاً من الوحدة العربية

بتوحيد بعض بـــلاد الجزيرة العربية واماراتها الصغيرة التي كانت متفرقة — تحت لواء المملكة العربية السعودية .

ومن الانصاف ان نذكر ان هذه الحركة لم تكن موجهة الى اسرة او توسعا في الحكم ، وانما كانت لتحقيق مبادىء واهداف من بينها الوحدة العربية العامـة .

وكان ديدن جلالة الملك عبـــد العزيز عاهل المملكة السعودية من اليوم الذي خرج فيه من (الكويت) ، وقد كان منفيا بها ، على رأس اربعين فارسا فتح بهم الجزيرة مع من انضم اليهم من الرجال — كان ديدنه العمل دائماً على المحافظة على الوحدة بين العرب بل بين المسلمين وقد أعلن ذلك اكثر من مرة .

الحركة الهاشمية

اما الحركة العربية الهاشمية التي كان يتزعمها جلالة المغفور له الملك حسين فانها كانت والحق يقال قائمة من أول أمرها عـــلى مبادىء الوحدة العربية بل انها الثورة العملية لتحقيق هذه الوحدة .

وقد لاقى في سبيلها المغفور له الملك حسين والبيت الهاشمي الكريم ما لاقى . وحمـــل لواءها ايضاً المغفور له الملك فيصل الاول ثم جلالة الملك عبد الله عميد البيت الهاشمي .

وكان اول اتجاه لهذه الحركة توحيد البلاد الشامية التي كانت موحدة قبـــل واثناء الحكم التركي ، وقد وقف زعماء هذه البلاد في بادىء الامر الى جانب هذه الحركة الا ان تغير الاحوال والنزعات غيّر من هـــذا الرأي عندهم وان كانت هذه الاحوال قـــد بدأت تزول . وما زال جلالة الملك عبد الله الى اليوم ينادي بوحدة البلاد الشامية أو ما سمي « سورية الكبرى » ، وتتردد الافكار بينها وبين مشروع الهلال الخصيب .

الحركة السورية واللبنانية

وكما ذكرنا كانت الحركة السورية اللبنانية سائرة في بدء امرها مع الحركة الهاشمية ، إلا ان كلا منها اتخذت طابعاً خاصاً بعد ذلك وان كان اتجاههما واحداً بحيث يحق لنا أن نسميهما حركة واحدة .

ومما يسجل لرجالات سورية ولبنان وفي مقدمتهم الرعيل الاول امثال شكري القوتلي وهنانو وبشاره الخوري وشكيب ارسلان ورياض الصلح والاتاسي ومردم

وكرامي وسعد الله الجابري وغيرهم ... انهم كانوا في مقدمة العاملين لحركة التكتل العربي والوحدة العربية سواء في اسطنبول أو في بيروت أو في دمشق، بل لقد استشهد في سبيل هذه الحركة كثير من الرجال في سوريا ولبنان، وان مذبحة جمال باشا ما هي الا من آثار غضبه لايمان اهل الشام بوحدة العرب.

ولا يفوتنا ان نسجل ما لابطال الدروز المغاوير وعلى رأسهم سلطان باشا الاطرش من أياد على هذه الحركة سجلت بمداد من الدم والنار والتضحية والبذل.

حركة الامام يحيى

ولقد قام الامام يحيى حميد الدين بثورته في اليمن لتخليصها من الجبروت التركي. وكان لجلالته اتجاه خاص في التعاون مع بقية البلاد العربية لتحقيق فكرة الوحدة التي يقدرها حق قدرها. فلم يتصل باي بلد منها الا بقدر يسير خشية ان يجني اتصاله ببقية البلاد العربية – وهي التي كانت تحت السيطرة الاجنبية – على استقلال اليمن كما كان يرى.

وآثر الانتظار عن بعد، فما ان اخذ ظل هذه السيطرة يتقاص وبدأت مشاورات الوحدة العربية حتى اشترك جلالته فيها ثم في انشاء الجامعة العربية، وأوفد احد انجاله وهو سمو الامير سيف الاسلام عبدالله الذي يحرص دائماً على حضور جلساتها.

وبعد ان آلت الامور الى جلالة الامام احمد سار على نهج والده واخذ يعزز من صلاته بالبلاد العربية تمكيناً لفكرة الوحدة بل ان اليمن قد عمدت الى ان يمثلها في الجامعة مندوب دائم هو سعادة السيد علي المؤيد.

في الشمال الافريقي

هـذا هو موقف الحركات الوطنية الخاصة في بلاد الشرق العربي من فكرة الوحدة العربية .. اما في الجناح الايسر للعروبة ونعني به الشمال الافريقي، ليبية وتونس والجزائر ومراكش بقسميها السلطاني والخليفي فان هذه الحركات كان من اهدافها الوحدة العربية العامة والخاصة.

ولقد حملت الحركة الوطنية التي قامت في ليبية والتي جاهد فيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه كالشهيد عمر المختار ومنهم من جاهد حتى توقف الجهاد بالسيف ليبدأ في ساحة اخرى كالزعماء الذين خرجوا من بلادهم بعد الفتح الايطالي وعلى رأسهم سمو الامير ادريس السنوسي وسعادة السيد بشير بك السعداوي

وغيرهما . اقول لقد حملت حركة الجهاد معنى فكرة الوحدة العربية عملياً اذ اشترك فيها عبد الرحمن عزام الذي الف جمهورية لمقاومـــة الغاصب وصالح حرب وعزيز المصري من المصريين والمرحوم تحسين العسكري العراقي وغيرهم فجمع الجهاد في ليبية ابناء البلاد العربية الاخرى الى جانب ابناء ليبية انفسهم .

الحركة الجزائرية

كانت الحركة الجزائرية صدى للفكرة العربية والاسلامية التي تغلغلت في نفوس القائمين بها والمجاهدين في سبيلها من المرحوم الامير عبد القادر الجزائري الى اليوم ؛ فلقد استنجد حينذاك بشقيقات الجزائر العربية والاسلامية ومن بينها مصر لنصرته ودفع الخطر الاستعماري عن البلاد العربية ، ولو انهم استجابوا له لما استطاع الاستعمار ان يغزو ليبية ومصر والشام وغيرها من البلاد العربية او الاسلامية لان الجزائر كانت الخطوة الاولى التي شجعت المستعمرين على بقية البلاد العربية .

وليس ادل من تغلغل الفكرة العربية في نفوس الزعماء الجزائريين اليوم من ان الزعيم مصالي الحاج يطالب ويلح الى جانب العمل على استقلال الجزائر ان تضم الى الجامعة العربية ، فما ان انشئت الجامعة حتى اوفد مندوبـــا عن الجزائر في الشرق العربي هو المجاهد الكبير الاستاذ الشاذلي مكي الذي يؤكد عروبة الجزائر واسلاميتها وتغلغل افكارها فيها بقوله :

« واننا لو كنا نريد للقضية الجزائرية حلاً غير عربي لكنا يممنا لندن او موسكو او نيويورك مثلاً فوجودنا في حاضرة الشرق وعاصمة العروبة مصر القاهرة ليس هو رمية من غير رام وانما هو تعبير صارخ ودليل واضح على الوجهة الطبيعية التي تبتغيها الامة الجزائرية وعلى الجهة التاريخية الاقليمية التي جعلها الشعب قبلته .

اننا عرب وبحكم عروبتنا فنحن لا نقبل بحال من الاحوال اي حـل لقضيتنا الجزائرية يمس هذه العروبة من قريب او بعيد .

ذلك هو نسبنا الذي اختارته لنا الازلية وسجله لنا التاريخ فياما اكرمه من نسب . وتلك هي وجهتنا التي ولينا وجوهنا شطرها منذ آلاف السنين فاعظم بها من وجهة » .

الحركة التونسية

منذ قامت الحركة الوطنية التونسية وهي تستهدف ضمن اهدافهـــا الوحدتان العربية والاسلامية ، فالسيد عبد العزيز الثعالبي رحمه الله كان ينادي بهذا ، ومن بعده

السيد محي الدين القليبي .

اما رجال الحركة الوطنية الحديثة وعلى رأسهم السيد الحبيب بو رقيبة فانهم سجلوا المطالبة بضم بلادهم الى الجامعة العربية في اهداف حركتهم ، بل ان السيد الحبيب نفسه انتقل من بلاده حينما تألفت الجامعة العربيـــة ومعه بعض الشباب التونسيين المجاهدين الى القاهرة حيث اخذوا يحثون الهمم لتأيد الحركة الوطنية في المغرب العربي ، وكان انتقالهم ووجودهم في القاهرة مغامرة كبيرة تعرضوا في اثنائها لمكائد المستعمرين .

الحركة المراكشية

كانت السياسة التي تسير عليها الاحزاب في بادىء الامر هي المطالبة بالاصلاحات الداخلية الى ان اجتمع الوطنيون في الحرب العالمية الماضية واعلنوا وثيقة الاستقلال التي جعلت من الاستقلال وسيلة للاصلاح بعد ان كانت الفكرة السائدة من قبل ان الاصلاح وسيلة للاستقلال .

على ان هذا ليس معناه أن الفكرة العربية لم يكن لها وجود في الحركة الوطنية المراكشية ، بل بالعكس فانها كانت اكثر وضوحا إذ حدثنا السيد صفي الدين السنوسي ان سمو الامير عبد الكريم الخطابي والمرحوم المجاهد العظيم السيد احمد الشريف السنوسي كانا يتبادلان الكتب في اثناء جهادهما الاول في مراكش والثاني في ليبية فيقول احدهما للاخر انت من هناك وانا من هنا حتى تتحرر بلاد المغرب جميعا ثم البلاد العربية والاسلامية .

ولما قامت الجامعة العربيـة كان من اهداف الاحزاب السياسية في مراكش الانضمام الى الجامعة العربية بل ان زعماء الاحزاب نفسها قد انتقلوا الى القاهرة تحقيقا لهذه الفكرة وبقوا بها زمنا يديرون فيه حركتهم منها ومن هؤلاء السيد علال الفاسي الذي نفي الى الجابون في افريقيا الاستوائية من عام ١٩٣٧ — ١٩٤٥ وكان اول عمل له بعد التحرر وتنظيم الحركة هو الانتقال الى القاهرة مركز الحركة العربيـــة العامة . . والسيد عبد الخالق الطريسي والمغفور له الدكتور محمد بن عبود الذي مثل مراكش الخليفية في لجان الجامعة العربية ومات شهيدا في حادث طائرة اثناء وجوده في الباكستان لتمثيل بلاده في المؤتمر الاقتصادي الاسلامي .. وغيرهم من الشباب المراكشيين المجاهدين في مصر وفي مقدمتهم اعضاء مكتب المغرب العربي .

لما أوشكت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء بـــدأ العرب يأخذون الضمانات التي تحدد مركزهم عقب انتهاء الحرب لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه من قبل . وقـــد اعطى لهم الانجليز والحلفاء الوعود الصريحة بتحقيق مطالبهم واعلن المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية اذ ذاك ان بريطانيا لا تمانع في قيام البلاد العربية بما يجمعها ويزيد من تعاونها لما بينها من روابط وصلات ..

واخـذ العرب يتصلون لتكوين هيئة او عصبة تقوي من مركزهم وتعمل على تحقيق مطالبهم وتكون قوة امام مواجهة الاحداث التي يتعرضون لها .. ولقد طلب مستر كايسي وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط من دولة نوري السعيد باشا ان يكتب اليـــه مذكرة بشأن مطالب العرب واهدافهم من تكوين جامعة أو عصبة تضمهم فكتب دولته مذكرة سميت فيما بعد « بالكتاب الازرق » .

.. واجتمع جلالة الملك عبد الله بدولة نوري السعيد باشا للتباحث بشأن دعوة البلاد العربية الى هذه الوحدة واتفق رأيهما على اسناد هذه المهمة الى مصر بوصفها زعيمة البلاد العربية وتتمتع منها جميعاً بالحب والتقدير .. فسافر دولة نوري السعيد الى القاهرة بكتاب من جلالة الملك عبد الله لمقابلة رفعة النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية يومئذ . وجرت بينهما اجتماعات ومباحثات اسفرت عن البدء في مشاورات الوحدة العربية وقد بدأت هذه المشاورات من النصف الثاني من عـام ١٩٤٣ .. وفيما يلي نص الكتابين المتبادلين بين جـــلالة الملك عبد الله ورفعة النحاس باشا في هذا الشأن :

« حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية الافخم .

كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري السعيد باشا وقد زارنا بعمان وسيزور مصر ليرى رأي رفعتكم في القضية العربية التي قد استوعب افكارنا عنها . علاوة على ما يعلمه فخامته من المبدأ القديم الذي سار عليه بيتنا في القضية العربية .

وإننا لنشكر رفعتكم على ميلكم للاخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعاً في اقطارنا المحبوبة واننا حين نكتب كتابنا هذا نتمنى لرفعتكم الصحة والتوفيق في جميع الاعمال »

عبد الله

١٧ رجب الفرد سنة ١٣٦٢ — ٢٠ (تموز) يوليه سنة ١٩٤٣

اما رد رفعة النحاس باشا فهو بعد الديباجة :

« هـذا واني شاكر (لسموكم) اخلص الشكر ما تضمنه هذا الكتاب من كريم التقدير وجميل الاماني ويسرني إبلاغكم اننا سنبدأ اليوم مشاوراتنا بشأن الوحدة العربية راجين من ورائها خير الامم العربية كلها والله ولي التوفيق »

٣١ يوليه سنة ١٩٤٣

استمرت بعد ذلك المشاورات الخاصة بالوحدة وحينما وقعت حوادث سورية ولبنان ارسلت الحكومة المصرية والحكومات العربية احتجاجات على التصرفات الفرنسية الغاشمة فيهما وكان لهذه الحوادث اثراً في سير المشاورات لانها كانت بمثابة المنبه الى ضرورة هذه الوحدة والتعجيل بقيامها .

واخذت هذه المشاورات تمتد فاوفدت اليمن وفداً (مستمعاً) واشتركت المملكة العربية السعودية ورجال العهد الوطني الجديد في سورية ولبنان . . وكان الوفد الاردني يرى آراء خاصة بمسألة سوريا الكبرى اراد ان يسجلها في ميثاق الوحدة فعارضها الوفد السوري ... واخيراً انتهى الامر بعد مباحثات طويلة بان خرج الى الوجود « بروتوكول الاسكندرية » .

وحدث بعد ذلك ان وقع التغيير الوزاري المعروف وجاء المرحوم احمد ماهر رئيساً للوزارة المصرية فبدأ المباحثات من جديد واسفرت عن وضع ميثاق جامعة الدول العربية في ٢٣ مارس عام ١٩٤٥ وتضمنت مواد الميثاق الآتي :

المادة الاولى : تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق .

ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم الى الجامعة فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلباً بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس في اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

المادة الثانية : الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شئون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل منها واحوالها في الشئون الآتية :

ا ـ الشئون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك وشئون العملة وامور الزراعة والصناعة .

ب ـ شئون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

ج ـ شئون الثقافة .

د ـ شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين .

هـ ـ الشئون الاجتماعية .

و ـ الشئون الصحية .

المادة الثالثة : يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلي الدول المشتركة في الجامعة ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها .

وتكون مهمته القيام على تحقيق اغراض الجامعة ومراعاة ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات في الشئون المشار اليها في المادة السابقة وفي غيرها . ويدخل في مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التي تنشأ في المستقبل لكفالة الامن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

المادة الرابعة : تؤلف لكل من الشئون المبينة في المادة الثانية لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة .

ويجوز ان يشترك في اللجان المتقدم ذكرها اعضاء يمثلون البلاد العربية الاخرى ويحدد المجلس الاحوال التي يجوز فيها اشتراك اولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

المادة الخامسة : لايجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين او اكثر من دول الجامعة فاذا نشب خلاف لايتعلق باستقلال الدولة او سيادتها او سلامة اراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً وملزما .

وفي هذه الحالة لايكون للدول التي وقع بينها الخلاف الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها للتوفيق بينهما وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط باغلبية الاراء .

المادة السادسة : اذا وقع اعتداء من دولة على دولة من اعضاء الجامعة او خشي وقوعه فللدولة المعتدى عليها او المهددة بالاعتداء ان تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً .

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ويصدر القرار بالاجماع ، فاذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لا يدخل في حساب الاجماع رأي الدولة المعتدية او إذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس فلممثل تلك الدولة فيه ان يطلب انعقاده للغاية المبينة في الفقرة السابقة وإذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من اعضائها ان تطلب انعقاده .

المادة السابعة : ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة في الجامعة وما يقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزماً لمن يقبله .

وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً لنظمها الاساسية .

المادة الثامنة : تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الاخرى وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول وتتعهد بالا تقوم بعمل يرمي الى تغيير ذلك النظام فيها .

المادة التاسعة : لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون اوثق أو روابط اقوى مما نص عليه هذا الميثاق ان تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الاغراض .

والمعاهدات والاتفاقات التي سبق ان عقدتها او التي تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع اية دولة اخرى لا تلزم ولا تقيد الاعضاء الآخرين .

المادة العاشرة : تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة ان يجتمع في اي مكان آخر يعينه .

المادة الحادية عشرة : ينعقد مجلس الجامعة انعقاداً عاماً مرتين في العام في كل من شهر مارس واكتوبر وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة الى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة .

المادة الثانية عشرة : يكون للجامعة امانة عامة دائمة تتألف من امين عام وامناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين .

ويعين مجلس الجامعة باكثرية ثلثي دول الجامعة الامين العام ويعين الامين العام

بموافقة المجلس الامناء المساعدين والموظفين الرئيسيين في الجامعة .

ويضع مجلس الجامعة نظاماً داخلياً لاعمال الامانة العامة وشئون الموظفين ويكون الامين العام في درجة سفير والامناء المساعدون في درجة وزراء مفوضين ويعين في ملحق لهذا الميثاق اول امين عام للجامعة .

المادة الثالثة عشرة : يعين الامين العام مشروع ميزانية الجامعة ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية .

ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة من النفقات ويجوز ان يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

المادة الرابعة عشرة : يتمتع اعضاء مجلس الجامعة واعضاء لجانها وموظفوها الذين ينص عليهم في النظام الداخلي بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية اثناء قيامهم بعملهم وتكون مصونة حرمة المباني التي تشغلها هيئات الجامعة .

المادة الخامسة عشرة : ينعقد المجلس للمرة الاولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية وبعد ذلك بدعوة من الامين العام .

ويتناوب ممثلو دول الجامعة رياسة المجلس في كل انعقاد عادي .

المادة السادسة عشرة : فيما عدا الاحوال المنصوص عليها في هذا الميثاق يكتفى بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة في الشؤون الآتية :

أ - شؤون الموظفين   ب - اقرار ميزانية الجامعة

ج - وضع نظام داخلي لكل من المجلس واللجان والامانة العامة

د - تقرير فض الاجتماع .

المادة السابعة عشرة : تودع الدول المشتركة في الجامعة الامانة العامة نسخاً من جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها او تعقدها مع اية دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها .

المادة الثامنة عشرة : اذا رأت احدى دول الجامعة ان تنسحب منها ابلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة .

وللمجلس الجامعة ان يعتبر اية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره باجماع الدول عدا الدولة المشار اليها .

المادة التاسعة عشرة : يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق وعلى

الخصوص لجعل الروابط بينها امتن واوثق ولانشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الامن والسلام.

ولا يبت في الانعقاد الا في دور الانعقاد التالي للدور الذي يقدم فيه الطلب.

وللدولة التي لا تقبل التعديل ان تنسحب عند تنفيذه دون التقيد باحكام المادة السابقة.

المادة العشرون : يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقاً للنظم الاساسية المرعية في كل من الدول المتعاقدة.

وتودع وثائق التصديق لدى الامانة العامة ويصبح نافذاً من قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الامين العام وثائق التصديق من اربع دول.

حرر هذا الميثاق في القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ (٢٣ مارس سنة ١٩٤٥)

واحدة تحفظ في الامانة العامة للجامعة وتسلم صورة مطابقة للاصل لكل دولة من الدول.

ملحق خاص بفلسطين

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة واصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لاية دولة اخرى. واعلنت معاهدة لوزان ان امرها لاصحاب الشأن فيها واذا لم تكن قد مُكنت من تولي امورها فان ميثاق العصبة في ١٩١٩ لم يقرر النظام الذي وضع لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها. فوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية امر لا شك فيه، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الاخرى واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة.

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظراً لظروف فلسطين الخاصة والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله.

ملحق خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة

نظراً لان الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شئونا يعود

خيرها وأثرها على العالم العربي كله ولان أماني البلاد العربية غير المشتركة في المجلس ينبغي له ان يرعاها وان يعمل على تحقيقها ، فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية عند النظر في اشراك تلك البلاد في اللجان المشار اليها في الميثاق تركت للمجلس ان يذهب في التعاون معها الى أبعد مدى مستطاع وفيما عدا ذلك ألا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم امانيها وآمالها وان يعمل بعد ذلك على اصلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيؤه الوسائل السياسية من اسباب .

ملحق خاص بتعيين الامين العام للجامعة .

اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين السيد عبد الرحمن عزام امينا عاماً لجامعة الدول العربية .

ويكون تعيينه لمدة سنتين ويجدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامـــة .

وقد صدقت برلمانات البلاد العربيـة التي تتمتع بالحكم النيابي على هـذا الميثاق وصار نافذ المفعول .

وان المهام والقضايا التي القيت على كاهل الجامعة العربية منذ اليوم الاول الذي ولدت فيه قضايا عظيمة ومهام جليلة وتبعات خطيرة تتطلب مجهودا جبارا وتعاونا وكفاحاً مستمرا .

فأول ما واجهها تمكين استقلال سورية ولبنان الناشىء وتخليص فلسطين من أيدي الصهيونيين الذين كانوا في ذلك الوقت يبدأون عملهم لتحقيق هدفهم باقامـة دولة صهيونية فيهـــا ، ثم قضايا الجناح الاسير للعروبـــة ونعني به الشمال الافريقي ليبيـة وتونس والجزائر ومراكش وقضايا وادي النيل وشرق الاردن والعراق وغير ذلك من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولدت الجامعة العربية والناس ينظرون اليهـا بين مؤمل خيرا على يديها ويرى فيها خطوة موفقة نحو تحقيق الوحدة العربية كاملة بين البلاد العربية ومنبرا رسميا تعلن به الشعوب العربية كلمتها وتبدي رأيها للعالم في قضاياها وشئونها .

وبعضهم الآخر كان ينظر اليهـا نظرة تشاؤم ويرى ان القيود الرسمية التي تربطها بالحكومات التي ترتبط بدورهـا بامور ديبلوماسية وملابسات دولية سيحول كل ذلك دون تحقيق الاهداف التي قامت من اجلها والاهداف التي تسعى اليهـا الشعوب العربية .

وبعضهم ايضا كان يرى في الجامعة العربيـــة خطوة نحو الوحدة او الجامعة الاسلامية ومنهم رجال رسميون صرحوا بهذا عندما تم انشاء الجامعة العربية .

إلا أن التجارب التي مرت بها الجامعة العربية والاحداث التي واجهتها ولمـــا تزل بعد في دور الطفولة لم تمكنهـا من أن تحقق كل الآمال التي كانت معقودة عليها . بل واجهت الى جانب هذه المشاكل مشاكل اخرى هي اشد خطراً على كيانها من المشاكل التي خلقت لحلها ، فان هذه المشاكل ونعني بها الخلافات الداخلية والتيارات المتعارضة التي ظهرت بين صفوفها خطر داهم على كيان الجامعة بل على الشعوب العربية والفكرة العربية نفسها . لان الناس من يوم ان بدأت هـــذه الخلافات تأخذ طريقها الى الظهور بدأوا يفقدون ثقتهم في الجامعـــة وفي الزعماء القائمين على تسيير دفتها أيضاً .

ونحن حين نذكر هذا انما نشفق على كيان الجامعة من ان ينهار بسبب هذه الخلافات فيحدث رد فعل في نفسيات الشعوب العربية يكون اثره وبالا عـــلى القضايا بل على معنويات الشعوب نفسها وثقتها في زعمائها . ولنذكر هنا بعض العيوب التي يجب ان تتلافاها الجامعة كما نذكر ايضا بعض الفوائد التي جاءت على يدها .. فاما العيوب فهي :

١ ـ انها لم تعالج القضايا بالروح التي كتبت بهـــا قراراتها واذاعت بياناتها بمعنى انها كانت تعطي كل شيء في بيانات وخطب وتصريحات زعمائها ، فاذا دققنا البحث عن النتائج العملية التي اعقبت هذه القرارات وتلك البيانات لم نجد الا قليلا .

٢ ـ ان القرارات التي اتخذت لم يعمل بها من جانب بعض الدول مما أوجد روحا من الاضطراب في صفوفهـــا ، فبينما تنفذ دولة ما قرارا من القرارت فنجد الاخرى أو الاخريات غير متمسكة به إذا بها تتراجع هي الاخرى .

٣ ـ انعدام روح الثقة بين دول الجامعة نظراً لوجود تيارات مختلفة فيها .

٤ ـ عدم مواجهة الحقائق بصراحة والالتجاء الى اساليب غير لائقة في التعبير عنها .

٥ ـ تخبط وارتجال في سياسة بعض البلاد العربية ثم موقف بعضها من بعض . فمثلاً عندما حدث انقلاب اليمن باركته بعض البلاد العربية ولم تتريث في ابداء رأيها فيه ولم يمض وقت طويل حتى رأينا نفس هذه البلاد تلعن القائمين به بـل وتعمل على دفعه ومساعدة الامام احمد .

وكذلك عندما حدث انقلاب سورية هللوا لحسني الزعيم وكبروا وجعلوا منـــه

المنقذ الذي اختارته العناية الالهية لانقاذ سورية والبلاد العربية الاخرى ان امكن. ويظهرون شكري القوتلي في مظهر الجاني على بلاده، ويعترفون به ويتبادلون معه التمثيل السياسي ويبدون استعدادهم لمعاونته اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ... وإذا بهم بعد أن يذهب الرجل ويأتي الانقلاب الآخر نجد نفس الذين هللوا بالامس لحسني الزعيم هم الذين يلعنونه اليوم ويرون في الانقلاب الجديد وسيلة الاصلاح. كما ينهجون نحو شكري القوتلي سياسة جديدة هي العمل على اعادته الى بلاده.. ولسنا نأخذ هذا على غير الرسميين وانما نأخذه على الرسميين الذين اتخذوا خطوات رسمية مرتجلة.

٦ – قضية فلسطين وما لابسها من ظروف وخطوات خصوصاً اثناء حربها وعدم وجود تعاون مشترك بين دول الجامعة. ولا تقع مسؤولية الاخطاء التي ارتكبت في حرب فلسطين على شخص واحد وانما تقع على الجميع لان كلاً منهم ساهم في هذا الخطأ بنصيب وافر، ولسنا هنا في معرض تبيان اخطاء كل شخص ونصيبه، ولكن كل ما نرجوه أن لا تكون مقادير البلاد العربية وقضاياها ومصايرها متوقفة على سياسة اشخاص تميل معهم حيث مالوا؛ تهوى حينما يخطئون وتتزعزع حينما يختلفون وتضيع حينما يتبين شخص ما انه لا يستلطف الشخص الآخر فيتخذ من القضايا والمصاير العامة ميزاناً لحربه والتشنيع عليه أو النيل منه...

٧ – اهمال النواحي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها وصرف كل جهد وتفكير في الناحية السياسية، وليتهم افلحوا في معالجتها!

هذه بعض اخطاء الجامعة أما اخطاء الامانة العامة فهي:

١ – كثرة الموظفين (القياصرة) مع عدم الانتاج وتفشي المحسوبية من غير نظر للصالح العام.

٢ – اسناد بعض المناصب الكبرى الى اشخاص لا يستطيعون القيام بها لعدم وجود امكانياتها عندهم... فلقد حدثنا أحد الرجال انه اراد ان يتصل بموظف كبير بالامانة العامة، لمنصبه اتصال بالنواحي العامة وخصوصاً الدولية والدعائية، ليستفسر منه عن بعض الاعمال التي قامت بها «اليونسكو» إزاء بلاد الجامعة فلما لم يجبه سأله هل يعرف ما إذا كان لليونسكو فرع في القاهرة فلم يجب ايضاً... والسبب في ذلك انه لا يعرف شيئاً عن نشاط اليونسكو في البلاد العربية وقد عقدت أحد مؤتمراتها في بلد عربي.. كما انه لا يعرف عن وجود

فرع لليونسكو وكان الاولى به أن يكون ملماً بكل شيء عن هذا ، ودائم الاتصال بمختلف النواحي والجهات العامة الصحفية والدولية ، وعدم فهم مهمة إدارة الصحافة على انها قراءة الصحف العربية او غيرها ان امكن .. ثم لا شيء بعد ذلك !

محاسن الجامعة العربية

اما ما ادته الجامعة العربية من خدمات للفكرة العربيـة فهي انها في الميدان الثقافي أقامت المؤتمرات والمعارض وجمعت الكتب العربية المخطوطة لتصويرها واحياء تراثها . ولعل اللجنة الثقافية كانت اكثر اللجان نشاطا واثرا . أما من الناحية السياسية فقد كسبت للبلاد العربية مكانة دولية مرموقة في اجتماعات هيئة الامم والمؤتمرات الدولية الاخرى واصبح لرأيها مقام في المحيط العالمي ، كما ان موقفهـا من القضايا الاسلامية والشرقية كان موقفا كريما بتأييدها لاندونسيا في مطالبها ، ووقوفها الى جانب ليبيا في جهادها السياسي لنيل الحرية ، واشتراكها في المؤتمرات التي عقدت في البلاد الشرقيـــة والاسلامية كهيئة اقليمية تهمها معاونة الشقيقات الشرقيات والاسلاميات كاشتراكها في المؤتمر الاسيوي الذي عقد في نيو دلهي والمؤتمر الاسيوى الثاني الذي عقد من أجل قضية اندونسيا ، واشتراكها في المؤتمر الاقتصادي الاسلامي ، وغير ذلك من المؤتمرات الشرقية والاسلامية .

أما في الناحية الاقتصادية فقـد قامت باعلان مقاطعة اليهود اقتصاديا واتخذت الوسائل لتنفيذها تنفيذا تاما . وكذلك انشاء شركة انقـاذ اراضي فلسطين وزيادة على ذلك هذه المشروعات النافعة في جميع النواحي من قانونية واجتماعية واقتصادية ، اعدتها اللجان فعلا ولم يبق الا التصديق عليها وتنفيذهـا . وفي الواقع ان ميثاق الجامعة والخطط والمشروعات والافكار التي وضعت لو استطاعت ان تحل الخلافات السياسية لكان أثرها عميا ولكان ما جنته البلاد والفكرة العربية من ورائهـــا كثيرا .. فمتى تزول هذه الخلافات ؟ .. نرجو ان يكون ذلك قريبا .

مشاكل تواجه الجامعة العربية

هناك مشاكل لا تزال تواجه الجامعة العربية منـــذ انشائها الى اليوم . بعضها سارت في حله خطوات ، وبعضها الآخر لم تتخذ فيه وسيلة عملية ، ومنها ما كان سبباً لأخطاء لسنا في معرض التحدث عنها ، فكلنا يعرفها وانما نحن نرجو أن تبدأ عهداً

جديداً أساسه التفاهم والثقة والصراحة والتسليم بالحق وان كان مراً .

ومن هذه المشاكل ما حاولت الجامعة عدم مواجهته وتأجيله مراراً وكان بمثابة القرحة التي تتجدد ولا يحاولون علاجها ومواجهتها بصراحة وحلها على اساس الصالح العام بغض النظر عن الاشخاص ... وذلك كمسائل الاتجاه الى الوحدة السورية والهلال الخصيب وغيرهما .

فالواجب ان تحل هذه المشاكل على أي وضع حتى لا تكون (خراجاً) في جسم الجامعة يتجدد بين حين وآخر ليجر الخلافات والفرقة التي تعطل قضايا العرب بل وتوشك أن تقضي على كيانهم .

ولن يكون هناك حل لجميع القضايا العربية إلا إذا شعر كل بلد منها بأن قضية البلد الآخر هي قضيته ، واهتم بها اهتماماً عملياً ، وإلا اذا قضي على الخلافات والمناورات والمآرب الشخصية ، ووُوجهت المشاكل بصراحة ووضوح وبروح بعيدة عن الغرض والتحيز ، ثم تهيأ لذلك جو كله اخلاص وثقة متبادلة .

أما من يقولون بأن على كل بلد أن يهتم بأموره خاصة فهم يناقضون أنفسهم بانفسهم . فمثلاً بينما يقررون أن مصر لا يمكن أن تقف مكتوفة الايدي إزاء الصراع بين معسكري العالم - وهو صراع لا ناقة لمصر فيه ولا جمل - يزعمون أن مصر تستطيع أن تحافظ على كيانها إذا هي انتحت لنفسها سياسة قائمة على اساس الفردية ومصالحها الخاصة فقط ... وهم يتجاهلون أن مصر بلد عربي اسلامي وأن وضعه بين البلاد العربية والاسلامية وقيام اسرائيل على حدوده يجعل من الصعب عليه أن يعيش منفرداً يبني سياسته على اساس اصح ما يوصف به أنه شخصي .. أما اتخاذ الاخطاء الماضية والمحن التي تعرضت لها مصر مبرراً لهذا الاتجاه فذلك امر عجيب . فبدلاً من أن يبحثوا عن اسباب هذه الاخطاء فيتلافوها يقولون بهذا الرأي .. كمن يرى اصابة بسيطة في جسم مريض فبدلاً من ان يحاول علاجها يأمر ببتر الجزء المصاب وهو أمر لا يلجأ اليه الا بعد أن تعيي الحيل .

قضية وادي النيل

وامام البلاد العربية قضية هامة هي مفتاح القضايا الوطنية الاخرى وعلى اساس حلها يكون حل القضايا الاخرى وهي قضية وادي النيل ، لأن مصر ذات المركز الهام بين البلاد العربية إذا ما حلت مشكلتها على أساس يرضي مطالبها القومية كان

هذا قوة للجامعة العربية ونقطة تعتمد عليها في اجابة مطالب البلاد العربية الاخرى كالعراق وشرق الاردن وغيرهما .

ولسنا في صدد بيان عدالة هذه المطالب ووجـــه حقيقتها فذلك امر معروف ملموس يلمس باليد ويحس بالعقل ويعرف بالبداهة ، ولكن نريد أن نبين ان لا وسيلة لنيل هذه المطالب إلا بتضامن البلاد العربية كلها مـع شقيقتها مصر ، وان تكون من ورائها البلاد الاسلامية تؤيدها وتؤازرها لافهام المستعمرين بالوسائل العملية التي انتهجتها الامم التي تحررت ، أن من مصلحتهم الجلاء عن مصر واجابة مطالبها في الوحدة بينها وبين السودان ، وترك تقرير شكل هذه الوحدة والوضع الذي تكون عليه لشعب مصر والسودان .. فإذا لم يستجيبوا فهناك وسائل اقتصادية وسياسية لارغامها والا فالاتجاه الى المعسكر الآخر !!

قضية فلسطين

قضية فلسطين هي القضية الجريحة التي نالت على ايدي الساسة والزعماء ما نالت من الأذى والخيبة بسبب تلك الخلافات والاهواء ، وكان ان قامت في فلسطين دولة الصهيونيين التي لن تجعل من فلسطين الا نقطة ارتكاز .

واليوم تفرعت نتيجة للأخطاء التي ارتكبت إزاء قضية فلسطين مشاكل اخرى هامة هي مسألة اللاجئين الذين أصبحوا بـــين عشية وضحاها مشردين تلعب بهم نوازع السياسة ، فحيناً نرضى عنهم واحياناً يضطهدون لا لذنب جنوه . وانما لأن هناك خلافات بين الدول العربية يذهب هؤلاء ضحية لها .

وهناك مسألة وضع الاجزاء العربية من فلسطين ، وماذا سيكون مصيرها ، وهي مسألة شائكة لن يحلها الا أن يقرر اهلها مصيرهم بأنفسهم حتى تستقر الاحوال في هذه الاجزاء وتتعاون البلاد العربية لانعاشها لتستطيع أن تكون الخط الاول في صد كل محاولة من جانب الصهيونية للتوسع .

ان فلسطين قد جنت عليها السياسة الخاطئة التي سارت عليها الدول العربيـــة فيما مضى فلندفن الماضي ولنتخذ موقفاً يصحح عدداً من هذه الاخطاء مهما كان قليلاً .

قضايا الشمال الافريقي

أما قضايا شمال افريقية فقد اصبحت مسألة اليوم ، بعد أن تقرر حل قضيـــة

ليبية على اساس اعطائها الاستقلال في عام ١٩٥١ . وإن شمال افريقية الذي يسيطر عليه الفرنسيون ، من قبل ان تقع ليبية بين براثن الاستعمار ، ظل يئن هذه السنين الطوال تحت نيره ، حتى ان الفرنسيين أخذوا يحاولون تجنيسه بالجنسية الفرنسية وخلع طبيعته العربية عنه ، فهو اليوم اذن في حاجة ملحة الى أن تتكاتف البلاد العربية على نصرته ضد المستعمر الذي يريد أن يقضي على عروبة هذه البلاد العربية وعلى الاسلام فيها ، تلك البلاد التي انبعثت منها حضارات اسلامية واقامت صرح امبراطوريات شامخة لاتزال آثارها باقية الى اليوم . ان علينا ان نترك المجاملة مع فرنسة التي صفعتنا مراراً في قضية وادي النيل وقضية فلسطين والقضايا العربية والاسلامية الاخرى، ونتخذ معها موقفاً صريحاً: فاما ان تصحح الاوضاع على اساس اعطاء هذه البلاد حريتها واستقلالها واما ان تتعرض لعداء البلاد العربية وسخط الشعوب الاسلامية وقيام حرب داخلية بيننا وبين الوطنيين ، لن تكون نتيجتها عليهم أسوأ مما هم فيه الآن من ذل وكبت واضطهاد .

الوحدة السورية

ولا بد أن نتحدث عن مشكلة الوحدة السورية التي كان لها النصيب الاوفى في كل ما نشأ بين الدول العربية من خلافات ومجادلات تختفي حينا وتظهر مرة اخرى مع ظهور هذه الفكرة من جديد .

اذا نظرنا الى مسألة الوحدة السورية من ناحية الفكرة نفسها ، بعيدة عن الاشخاص والعوامل الاخرى ، وجدنا انها فكرة سليمة ومنطقية الى حد كبير ، لأن هذه البلاد التي كانت فيما مضى تعرف بالشام كانت موحدة ولم تنفصل الا في عهد الاستعمار ، وهو الذي قسمها وجعل منها دويلات وممالك في رقعة من الارض وعدد من السكان لا يساعدان على قيام مثل هذه الدويلات . فالانجليز والفرنسيون هم الذين قسموا البلاد السورية الى هذه الدويلات ليكون لكل منها منطقة نفوذ وسيطرة . هذا من الناحية التاريخية .

واما من الناحية الاقتصادية فأن هذه البلاد يكمل بعضها بعضا ، فسورية تنتج اشياء لا بد لها من اسواق داخلية قريبة وكذلك فلسطين ولبنان . ثم أن الحدود الوهمية التي اقامها المستعمرون لم تغير من حاجة هذه البلاد الملحة الى الوحدة خصوصا من الناحية الاقتصادية . ولقـــد اتفقت سورية ولبنان على قيام الوحدة

الاقتصادية بينهما تقريبا . فلما وقع الخلاف الاخير بينهما في هذه الناحية تعرضت كل منهما لازمة شديدة .

وكذلك نرى من الناحية الاجتماعيـة ان هذه البلاد تعتبر وحدة كاملة ، فالاسر والعادات واللهجة واحدة ، بل أن هناك اسراً واحدة حاكمة في لبنان وسورية . وقد يتفق في بعض الاحيان أن يكون ابناء عم احدهما وزيراً سورياً والآخر وزيراً لبنانياً أو يكون اقارب فلسطينيون أو اردنيون مختلفين في مسألة من المسائل لأن لكل حكومة من حكوماتهم وجهة نظر تخالف الاخرى .

ثم إن توحيد سورية اصبح من الناحية السياسية والحربية ضرورياً ، وخصوصا بعد قيام اسرائيل وهي ذات الموارد والمعاونات الدولية والتي وضع رجالها في ادمغتهم منذ اليوم الاول الذي فكروا فيه في قيامها ... السيطرة على جميع البلاد التي كانت في ملك سليمان من قبل بل ذهبوا الى ابعد من هذا : انهم جعلوا من المدينة المنورة هدفا لمطامعهم وصمموا اعادة خيبر مرة اخرى اليهم . ولقد حدث في عهد الخلافة العثمانية ان طلبوا اعطاءهم خيبر !

فهل من صالح هذه البلاد وهي متفرقـة ودون اسرائيل في القوة والعتاد أن تظل متفرقـة حتى يلتهمها الصهيونيون واحدة بعد الاخرى . . ولنا في فلسطين عبرة لمن يعتبر . فلو كانت هذه البلاد – فلسطين – جزءا من الوحدة السورية لما تعرضت لما هي فيه الآن من محنة .

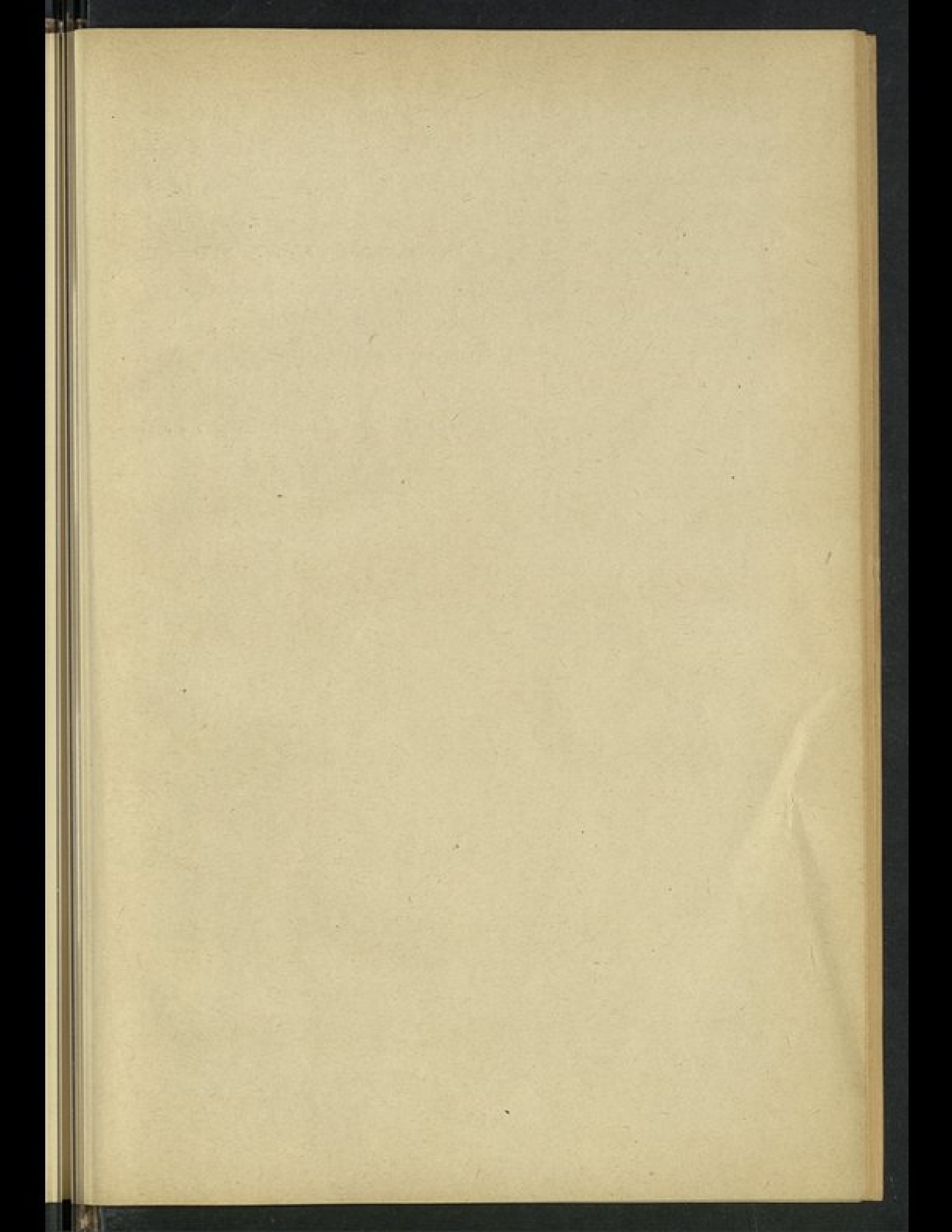
على ان المعارضين لمشروع الوحدة السورية اليوم هم الذين نادوا به منذ ثلاثين عاما حينما انعقد المؤتمر الوطني في أوائل مارس سنة ١٩٢٠ وضم جميـع الزعماء الحاليين برئاسة جلالة المغفور له الملك فيصل الاول واعلنت فيه وحدة البلاد السورية . ومن هؤلاء فخامـة السيد شكري القوتلي ودولة جميل مردم وفخامـة الاتاسي ودولة رياض الصلح ودولة فارس الخوري و .. و .. الخ .

على ان المعارضة التي تلقاها فكرة الوحدة السورية اليوم معارضة أصح ما تسمى به انها شخصية بمعنى انها ليست منصبة على الفكرة في حد ذاتها ، بل لأن المنادين بها الان يقعون تحت نفوذ اجنبي . ولقد صرح دولة السيد فارس الخوري بهـذا في حديث صحفي قال فيه « لقد كنت من واضعي مشروع الهلال الخصيب ومؤيدي فكرة الاتحاد بين البلاد السورية والعراق ايام الملك فيصل الاول ، ولكن الظروف تغيرت واصبح مثل هذا الاتحاد ضارا » .

اننا لا نؤيد شخصا من الاشخاص ولكن نؤيد فكرة نعتقد انها ضرورية في الوقت الذي تطالب وتسعى فيه الدول الى الوحدة بل انها أمل المصريين والسودانيين الذين فرقهم الاستعمار ايضا كما فرق سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن .

ان الاشخاص سيذهبون عاجلا او آجلا مهما طالت حياتهم . وحياتهم مهما طالت لن تكون شيئا بجانب حياة اممهم .

يا قوم ... ان الخطر محدق بكم واسرائيل واقفة بالمرصاد تترقب الفرصة التي تقفز فيها لتحقيق احلامها الاخرى بعد ان تحقق حلمها الاول بقيام دولتها في فلسطين فدعوا الخلافات الشخصية جانبا وخذوا رأي الشعب فمن حقه ان يقرر مصيره وشكل الحكم والوضع الذي يريده .



الوحدة الاسلامية

الوحدة الاسلامية والاخوة الاسلامية والتعاضد والتساند الاسلامي من الاسس التي قام عليها الاسلام . وبها بلغت الامة الاسلامية والدولة الاسلامية أعلى المراتب واسمى الدرجات وكانت من الاسباب التي ادت الى انتشاره . وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد ضرورة هذه الوحدة وذلك التساند فقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » . بل ان الله تعالى قد من على نبيه الكريم بهذه الوحدة وذلك التآلف الاسلامي بين الرعيل الاول فقال : « لو انفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » . والآيات في تأكيـــد معنى الاخوة الاسلامية والوحدة الاسلامية كثيرة متعددة . وكذلك الاحاديث النبوية الشريفة فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » الى آخر ما ورد من أحاديث وآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابـــه وما اكدته اعمالهم وساروا عليه في علاقاتهم سواء منها الخاص والعام .

طابع الوحدة في الاسلام

ولقد جعل الاسلام الوحدة طابعاً لكل فرض من فرائضه واصل من اصوله ، فالشهادة التي هي جواز المرور الى جنـــة الاسلام والانخراط في سلكه صيغتها واحدة في جميع الفرق والمذاهب . والصلاة متفق عليها من الجميع ، بل انها وسيلة من وسائل التقارب والوحـدة بين المسلمين ، اذ تجمعهم في صفوف متساوية لافرق بين كبيرهم وصغيرهم وعظيمهم وحقيرهم ، بل الكل سواء يتجهون الى رب واحد وقبلة واحدة .. وتقرير الزكاة فريضة على الاغنياء للفقراء وسيلة ايضاً من وسائل التآخي المادي والمعنوي ، حتى يشعر الجميع بانهم اعضاء في اسرة واحدة ، على كل منهم واجبات حيال الآخر . وقد جعل الاسلام الدولة التي تجمع المسلمين هي التي تقوم بجمع الزكاة وتوزيعها في مصارفها لأنها القائم على امر المسلمين جميعاً ..

والحج الذي فرضه الله على المسلمين يظهر فيه معنى الوحدة حتى في الاشكال

والحركات . فالجميع يتزيون بزي واحـــد هو زي الأحرام ، ويتحركون في السعي والطواف ورمي الجمرات والاجتماع العظيم بعرفات في حركة واحدة واسلوب واحد . بل ان الحج نفسه الى جانب الاتفاق والتوحد في الشكل فانه قائم من اوله الى آخره على تعارف المسلمين باحوالهم ، ومعاونة بعضهم بعضا في هذا المؤتمر الجامع . وحكمة الوحدة في الحج لاتحتاج الى بيان او توضيح فهي ابين من الشمس فهو تدريب عملي على توحيد المسلمين وتقاربهم .

اما الصوم ففيه ايضاً تدريب عملي على الوحدة والتآخي خصوصاً من الناحية الروحية فهو موسم للبر ومهرجان لتعرف الاغنياء لحال اخوانهم الفقراء وداع الى تعاونهم جميعاً لما فيه خيرهم . وفيه تذكير بنزول القرآن فيه وهو الكتاب الذي يجمعهم ويضم بين دفتيه اساس دينهم ووحدتهم .

الأخوة الفردية والاخوة الجماعية

لا مراء في أن الاخوة والوحدة كانتا دوماً أساساً من أسس الاسلام ـ الوحدة والاخوة بين الافراد أو بين الجماعات أو الدول . بل انه من يوم أن تركت الدول الاسلامية ذلك التعاضد والتساند انقسمت فرقاً واحزاباً وطوائف متطاحنة مختلفة ، كل منها يزعم لنفسه الاسلام وحده ، وما سواه لا شيء . بل ان الامر وصل في بعض الاحيان الى التقاتل والعداوة من أجل مآرب شخصية او اغراض سياسية وغايات نفعية . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » ويقول « فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

فحبذا لو علم الناس أن الاسلام جاء بالوحدة والتوحيد في كل شيء ودعا الى التضامن والتساند والاخوة ، وإلى إزالة كل سبب يبرر العداوة بين المسلم واخيـــه المسلم او بين الطائفة المسلمة والطائفة الاخرى وبين دولة اسلامية ودولة اخرى ..

ومن الغريب أن يقوم الآن ومع الحاجة الماسة الى توحيد الجهود ولم الشمل وفي الوقت الذي اخذت فيه الدول الـــتي لا تربطها ببعضها صلة ما في التجمع والتكتل .. في هذا الوقت ينشب خلاف بين عدد من البلاد الاسلامية .

لقد اصبحنا نسمع ونقرأ عن خلاف بين العراق وايران او بـــين الباكستان وافغانستان او بين بعض البلاد العربية وبعضها الآخر ، بما أوجـده الاستعمار من إحن ليس لها مبرر الآن ، اللهم الا ان كانت المطامع والاهواء الشخصية تعد مبرراً

للقضاء على وحدة المسلمين او تسخيرهم في خلافات لن يكون من ورائها الا البوار. فعسى أن يراجـــع المسؤلون في هذه الدول انفسهم ويحكموا دينهم وعقيدتهم ويطرحوا جانباً اسباب الخلاف ويحلوا هذه المسائل بروح اخوية ، ولنذكر هنا على سبيل المثال حادثة لعلها تكون نموذجاً يحتذى وعبرة يعتبر بها . ذلك انه لما حدث الخلاف بـين جلالة الملك ابن سعود وبــين المغفور له الامام يحيى قامت الحرب من جراء ذلك بين البلدين واريقت في سبيل ذلك دماء ما كان احوجنا اليها في ميدان آخر .. ولكن حينما استصرخ المسلمون العاملــين أن يحكما روح الاخوة بينهما استجابا لهذا الاستصراخ مضحيين في سبيل ذلك بكل شيء .

فلقد حوصرت الحديدة بجيوش جلالة الملك ابن سعود فارسل أحـــد سيوف الاسلام وكان قائداً بها الى والده يخبره الخبر فاشار عليه والده المغفور له الامام يحيى بأن لا يطلق النار على المحاصرين ، ويكفي ما اريق من دماء ، وعليه ان يدعو السعوديين للصلح وقبول أي شرط من الشروط . وقال له : انني لا اريد ان القى الله وفي عنقي دم مسلم . فما أن وصل الخبر الى مسامع جلالة الملك ابن سعود حتى امر جيوشه بالارتداد عن الحديدة ، وقال ايضاً مثل ما قال جلالة الامام يحيى ودخل الفريقان في مفاوضات للصلح انتهت باحلال الوئام والسلام بين البلدين .

الاسلام والوحدة الانسانية

والاسلام الى جانب جعله الوحدة بين المسلمين أساسا من اسسه ، سعى الى الوحدة العالمية الانسانية ، فالله سبحانه وتعالى اختار لبناء الكعبة التي يتجه اليهـــا المسلمون في جميع انحاء الارض اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وهو ابو الاديان ، فمن نسله موسى ومحمد ومريم ابنة عمران ام المسيح عليـــه السلام حتى لا يكون هناك سبب من اسباب الخلاف . وفي مناقشته لاصحاب الاديان الاخرى يردهم دائما الى ابراهيم وهم به مؤمنون ويأخذهم بالحسنى « وجادلهم بالتي هي أحسن » « ام تقولون ان ابراهيم واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله » ، « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » فهو يرجع الاسلام الى ملة ابراهيم الذي تعترف بـه اليهودية والنصرانية ليكون ذلك مدعاة الى التقارب .

الوحدة

لما كانت الدولة جزءا لا يتجزأ من الاسلام واساسا من أسسه فهو دين جاء للدنيا والاخرة ونظم حياة الناس على هذا الاساس وجعل الدولة هي المهيمنة على تنفيذ هذه النظم .

فنظام الدولة الاسلامية كما جاء به الاسلام عامل من عوامل الوحدة . فإذا تتبعنا ما كانت عليه الدولة الاسلامية في عهودها التي سارت فيها على النظام الاسلامي الصحيح وجدنا هذا المعنى واضحا بينا في كل تصرف من تصرفاتها .

ولقد ألقى المرحوم العلامة فقيد الاسلام شبير احمد العثماني شيخ الاسلام بالباكستان بحثا عن اهداف الدولة الاسلامية في الجمعية التأسيسية لدستور الباكستان نوردها فيما يلي نظرا لما اشتملت عليه من بيان لما اتسمت به الدولة الاسلامية من طابع الوحدة الاسلامية بل والانسانية .

الدولة الاسلامية وغايتها

الخطبة التي ألقاها فضيلة الاستاذ الأكبر العلامة شبير احمد العثماني رئيس مؤتمر العالم الاسلامي الدائم في المجلس التأسيسي لدولة الباكستان في جلسته المنعقدة في ٩ مارس سنة ١٩٤٩ الميلادية بمناسبة تقديم دستور الباكستان وأغراضه .

معالي الرئيس والسادة الكرام .

ان أول شيء اريد ان اعرب عنه في هذا المقام هو أني لا اقتصر على تأييد الافتراح العظيم الذي قدمه صاحب الدولة لياقت علي خان الى هـذا المجلس لبيان ما يبنى عليه دستورنا الجديد من المبادىء والأسس . وأني لأرى من الواجب علي فوق ذلك ان اهنئه بهذا الافتراح وبعرضه على هذا المجلس في مثل هـذا العصر الذي بلغ فيه الصراع الشديد بين الدين ونظريات الالحاد والاباحية الى ذروته . واذا تأملتم المسألة وأوليتموها ما هي جديرة به من الجد والعناية تبين لكم جلياً أن هذه التهنئة ليست عن شخصي فقط بل الحقيقة أنها من قبل الروح الانسانية المضطهدة التي لاتزال ترسف منذ آماد بعيدة تحت اغلال القوى المادية القاهرة والمتطاحنة

فيما بينها ، المتكالبة على حطام هذه الدنيا الدنيئة . وهي تئن وتعول تحت أعبائها وأثقالها المؤلمة المفجعة وتستغيث بمن ينقذها من تلك المخالب ويعيد اليها حياتها . وهي تبث شكاتها الى العالم بحالة ترق لها معها قلوب الذين يضطهدونها ويصبون عليها صنوف الآلام والشدائد ، فيقومون ويندمون على ما اقترفته ايديهم الآثمة . حتى انهم كثيراً ما يبحثون عن دواء ناجع للادواء التي أورثوها الانسانية بأعمالهم ومنكراتهم . لكنهم يخيبون في مسعاهم كل مرة ويخطئون المرمى حين يلتبس الامر عليهم بين الداء والدواء . فيرون السبب الحقيقي دواء للداء وبلسما شافياً له .

من يشف من داء بآخر مثله أثرت جوانحه من الأدواء

فليذكر كل منكم أن الدنيا اليوم قد وقعت في شبكة اصول ومبادىء وضعتها من تلقاء نفسها فلا يمكن لها أن تتخلص منها مهما حاولت الخلاص وبالغت في الجد والسعي . بل الحق أن عقود الشبكة تزداد اشتباكا وارتباكا بقدر ما تبذل من جهدها للخلاص منها . فقد ضلت سواء السبيل . فكل سبيل تسلكها بعدها وتسعى لها سعيها تبعدها عن الفوز الحقيقي والفلاح المنشود .

الصراط المستقيم

فاذا اردنا ان نقر نظام حياتنا على اسس الصلاح والعدل ونكلله بالفوز والنجاح ، ينبغي لنا أن نبدل الخط الذي يجري عليه ركب حياتنا اليوم من غير تفكير ولا روية . ونحن لانرى بأساً اذا تقهقرنا في حياتنا قليلا لنزداد تقدماً على الصراط السوي . كما تشاهدون أن القاطرة اذا ارادت أن تستبدل الخط الذي تجري عليه بغيره تتقهقر الى الوراء ثم تتقدم الى الخط الذي تريد الجري عليه . وكذلك اذا رأينا رجلا يجري على طريق من الطرق جريا ولا يلوي على شيء حتى يخشى عليه ان يقع في هوة بعد بضع خطوات لايجوز لنا ان ندعه وشأنه يجري على حاله . بل يكون من واجبنا اذاً ان نأخذ بحجزه وندفعه الى الوراء قليلا ثم نهديه الى طريق آخر مستقيم . يوصله الى ما يريده ويبغيه . وهكذا حال الدنيا اليوم . فأن ارادت هذه الدنيا الجديدة المكلومة المعذبة ان تتخلص من أثقالها وقيودها التي ترسف فيها ، فلا مندوحة لنا عن تدبر أحوالها وتأمل شئونها والامعان في اسسها ومبانيها من جديد . وذلك أن الشجرة اذا لم يكن جذرها

مستحكما متأصلا فمن العبث أن نبلل أوراقها وغصونها . ولا يمكن أن تصلح وتحسن فروعها وتنمو على منوال صحيح معتدل الا اذا صلحت اصولها ومبانيها . بل لا بد لذلك من اصلاح اساس هذه الاصول والمباني . فلا تأبهوا اصلا لطبقات الرجعية والتحجر . وأقبلوا بقلوب رحبة وصدور واسعة على معضلات الحياة المتعددة اليوم ولا تدخروا وسعاً في ادراك سرها شأن المستبصرين الباحثين عن الحق .

وكل ما شاع فينا اليوم من النظريات المضلة والفكر الباطلة وسلمنا بها كحقائق ثابتة واصول صحيحة من جراء دعاية الامم القوية ذات النفوذ والسلطان ، وبما استولى علينا قصداً ومن غير قصد ، من قبل سلطانهم القاهرة ولمعان حضارتهم الآخذة بالالباب ، يجب علينا أن نفكر في كل هذه النظريات والفكر ونعيد فيها النظر من جديد ، عاقدين العزم على أن لا نرى حرجاً في ترك ما رسخ في أذهاننا منذ قرون واخذنا به عقيدة ثابتة غير مبالين بتركه بعد بزوغ الحق ووضوح الصواب . ونعد بعد ذلك الاصرار عليه ذنباً لا يغتفر . فاذا كانت الدنيا اليوم تطمح أن تبلغ الى غاية صالحة لفلاح الانسانية الحقيقي وسعادتها ، فلا بد لها من ان تفكر وتنعم النظر في النظريات القديمة الراسخة التي نبذها كثير من الأمم وراء ظهورها في سبيل تنافسها المادي وتسابقها الاقتصادي . وخذوا لذلك مثلاً نظرية بطليموس في سكون الارض وعدم حركتها . فقد بقيت هذه النظرية مستولية على اذهان الناس قروناً عديدة . ولم يلتفت أحد خلالها الى ما كان يقول به فيثاغورس . حتى جاء اليوم الذي عملت فيه عملها البذرة التي كان قد بذرها فيثاغورس . فظهرت وأورقت وأثمرت وآتت اكلها . والذي يستمسك بالحق ويدعو اليه لا يبالي في دعوته ان الناس لا يتقبلون دعوته في زمان ، او لا يصغون اليها الى زمن طويل – لا يهمه هذا ولا ذاك في قليل او كثير . فالحق حق أكان معه احد أم لم يكن . وانه على يقين ثابت من نفسه انه سيأتي اليوم الذي يضطر فيه المكذبون بدعوته الى الالتجاء الى كنفه بعد ما طردتهم الدنيا ولفظتهم . وها هو قد ظهر ذلك اليوم المنشود كما قال دولة لياقت علي خان في خطابه :

« قد أشرق نور الحق من وراء الأفق مؤذناً بانبثاق الفجر – فجر الهداية والعدل والانصاف » .

فالذي نحتاج اليه اليوم ان لا يحول بيننا وبين الحق حجاب يحرمنا التمتع بنعيمه ويسلبنا الانتفاع بخيراته . فأن دولتنا الجديدة باكستان تريد ان تضع نبراساً ساطعاً من الرشد والهداية في سبيل الانسانية المرتطمة في أوحال المادية ومجاهلها المتسكعة في ظلمات الالحاد والمروق . فهي لاتتحدى العالم ولا تريد اعلان الحرب عليه . وانما هي تنير سبل الأمن والدعة والنجاة للانسانية . وتأخذ بيد الذين ينشدون سبيل الطمأنينة والهناءة في هذا العالم . والذي نراه ونجزم به انه لابد لنا من ان نعلم — قبل ان نختار نظاماً خاصاً للدنيا عامة ولباكستان خاصة — من هو المالك الحقيقي والحاكم المقتدر لهذا الكون الذي نعيش فيه وليست دولتنا باكستان الا جزءاً من اجزائه . أله وجود أم لا . فاذا اعتقدنا ان ليس مالكه وصاحبه الحقيقي الا خالق جميع الموجودات ذو القوة المتين — كما اظن ان معظم اعضاء هذا المجلس يعتقدون — فلا بد لنا من التسليم بأنه لا قبل لنا بالتصرف في ملك أحد ولا سيما ملك هذا المالك الحقيقي المقتدر الذي لايشاركه في ملكه احد ، الا بقدر ما يأذن لنا به . فانه لايجوز لاحد ان يتصرف في ملك غيره تصرف مالكه وصاحبه . أما أذن صاحبه ومشيئته فلا يمكن العلم بها الا اذا اعلمنا بها ودلنا عليها بنفسه . ولأجل هذا الغرض قد بعث الله الرسل والانبياء . وانزل معهم الكتب ليعلموا الناس ما فيه مرضاته . ويرشدهم الى حدود ما تسعه مشيئته . فنظراً الى هذه الوجهة من الرأي قد وضعت في الاقتراح كلمات « في ضمن حدوده — حدود الله — الموضوعة » وهذا المقام هو الذي تفترق فيه سبل الممالك الدينية والممالك اللادينية المحضة .

اما النظرية السائدة اليوم بان الدين انما هو علاقة فردية بين العبد وربه . ولا علاقة له بشئون العباد ومعاملاتهم . ولا صلة له بأمور سياستهم . فلم يعترف بها الاسلام البتة . نعم يمكن ان يكون لهذه النظرية مقام من الصحة والخطورة عند الديانات الاخرى التي لاتملك لنفسها نظاماً مخصوصاً للحياة البشرية . لكن الاسلام لامجال فيه لمثل هذا التصور المحدود . بل الحقيقة ان تعاليم الاسلام وأمثال هذه التصورات الباطلة على طرفي نقيض .

قد أرسل القائد الاعظم – رحمه الله وغفر له – بكتاب الى الزعيم الهندوكي غاندي في شهر اغسطس سنة ١٩٤٤ الميلادية . فكان مما كتب فيه :

« القرآن نظام جامع لحياة المسلمين وفيه احكام لجميع مستلزمات حياتهم الدينية والاجتماعية والاهلية والجنائية والعسكرية والاقتصادية ، وهو مجموعة للأحكام المقنعة الكافية لكل فعل وقول وحركة للأنسان – من المناسك الدينية الى شئون الحياة اليومية ، ومن حقوق الجماعة الى حقوق الافراد وواجباتهم ، ومن قانون المكافأة في الدنيا الى قانون المجازات والمحاسبة على الاعمال في اليوم الآخر . ومن ثم فأذا انا صدقت بان المسلمين امة مستقلة بمشخصاتها وميزاتها ، فانما اريد بذلك انهم امة مستقلة وفق جميع الاقدار والقيم التي يعتمدها في الحياة الدنيا وما بعدها .

وكذلك قال القائد الأعظم سنة ١٩٤٤ في بيانه الذي اذاعه يوم العيد .

« ومما لايغيب عن بال كل مسلم ان تعاليم القرآن لاتنحصر في العبادات والاعمال الخلقية . بل القرآن الكريم دين المسلمين وقانون حياتهم . ومعناه انه مجموعة كاملة من الأحكام الدينية والاجتماعية والتجارية والمدنية والعسكرية والقضائية والجنائية . وقد أمرنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يكون عند كل مسلم منا هذا القرآن ليتدبره ويتأمل سر معانيه حتى يكون سبباً لهدايته في الحياة الفردية والجماعية » .

فهذا قليل من كثير مما قال قائدنا الاعظم مراراً في هذا الصدد . فهل من الممكن بعد هذه التصريحات المفحمة الواضحة ان يجترىء رجل على القول بانه لاصلة للحكومة وسياسة البلاد بالدين ونظمه الكاملة . أو لو كان القائد الاعظم اليوم حياً بين ظهرانينا لما كان ممكنا ان يعرض هذا الاقتراح على هذا المجلس . وقد قال الله تبارك وتعالى :

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما (النساء ٤٦) .

وقال :

ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون .

ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون (المائدة – ٤٥)

ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون (المائدة – ٤٧)

الحكومة الدينية في الاسلام

وليتذكر كل منكم ايضاً ان الحكومة الدينية في الاسلام لاتشبه البابوية أو الهيئات الاكليريكية في المسيحية . فالاسلام هو الدين الحق الذي قد اتى على بنيان هذه الفكرة الباطلة وندد بها تنديداً . وذلك بما ورد في التنزيل من قوله تعالى :

« اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (التوبة ٣٢) .

فالمراد بالحكومة الاسلامية حكومة تدبر شئونها وتدار دفة أمرها حسب أصول الاسلام ومبادئه الحقة السامية الطاهرة . فلا تكون الا حكومة مفكرة من الطراز الفذ المبتكر . ومما لامراء فيه ان حكومة فكرية - دينية كانت أو غير دينية كالحكومة الشيوعية في روسيا - لايمكن ان يقوم بادارة أمرها وتسيير شئونها الا الذين آمنوا بمبادئها وغاياتها . اما الذين لايؤمنون بها فيمكن ان تستخدمهم الحكومة وتنتفع بمواهبهم وكفاءاتهم في سياسة البلاد ولا يمكن لها ابداً ان تفوض اليهم تحديد خطتها وتعيين مناهجها . أو تلقي اليهم مقاليد المناصب الهامة .

وظيفة البشر في الارض

والحقيقة ان الحكومة الاسلامية ليست بحكومة بشرية . بل هي حكومة نيابية عن الله تبارك وتعالى . خالق هذا الكون ومالكه الحقيقي . فان الحكم والتشريع ليس فيها الا بيده . وما الانسان فيها الا خليفة عنه ونائبه في الارض . ووظيفته ان يقوم ويضطلع بواجبات النيابة في حدود الله المرسومة كالواجبات الدينية الاخرى .

والحكومة الاسلامية في أكمل صورها تكون حكومة راشدة . وكلمة الرشد تدل على اقصى ما يمكن ان تبلغه الحكومة من مراتب الكمال . ومعنى ذلك أن تكون الحكومة والذين بيدهم زمام أمرها وعامة سكانها صالحين راشدين . والقرآن لم يجعل غاية الحكومة الاسلامية وهدفها الأسمى الا ان تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في دائرة نفوذها وسلطانها .

والاسلام يخالف الرأسمالية السائدة اليوم في البلاد الغربية . والحكومة الاسلامية تأمر بتوزيع الثروة المدخرة بطرق خاصة متناسبة ليست في شيء من

طرق الاشتراكية الفظيعة . وتريد ايضاً أن لا تدع هذه الثروة سائرة دائرة بين مختلف الطبقات والافراد وهي تستخدم لذلك طرقاً قانونية وتسير عليها بالقسط والعدل والنصفة وايضاً لاتبطل الحكومة الاسلامية الملكية الفردية بل تأذن للافراد بجمع المال والثروة الى حد متناسب معلوم . وتقيم لادخار الثروة الزائدة بيتاً للمال عاماً يشترك فيه جميع افراد المجتمع بحقوق سواسية فبتوزيع هذا المال المدخر في بيت المال العام وتقسيمه بين الناس ، تقيم الحكومة الاسلامية اسس العدل والنصفة . وتنصف الغني والفقير وتعطى كلتا الطبقتين ما تستحقان من الحقوق وتحملها ما يجب عليهما من اداء الواجبات .

الشورى

والشورى اساس الحكومة الاسلامية كما قال الله تبارك وتعالى :

« وامرهم شورى بينهم » . فالحكومة الاسلامية هي أول مؤسسة في العالم قامت في وجه الامبراطورية والقيصرية . ووضعت مبدأ « استفتاء الرأي العام » وعهدت بوظيفة الملك الى الأمام المنتخب من قبل الجمهور والمؤيد برأيهم . أما التحكم بطرق الأرث والاستبداد والعدوان واقامة الدكتاتورية ، فهذا كله مما يناقض مبادىء الاسلام . فان الاسلام لايخول المملكة ما يخول من النفوذ والسلطان الا بأيدي الجمهور ومشيئتهم العامة . غير انه لايأذن لهم ان يهملوا أمارة البلاد ولا ينظموا شئونها ويستأثروا بالسلطة دون غيرهم . ويعمموا الفوضى ويفسدوا في الارض . وهذه من مزايا المملكة الاسلامية التي ترفع رأسها بين الممالك الجمهورية في العالم .

غاية ما تطمح اليه الحكومة الاسلامية

وغاية ما تطمع اليه الحكومة الاسلامية أن لا يقوم بناء المملكة الا على أساس الانسانية الخالصة . وعلى أصول ومبادىء عالية تقوم هي بتشييد دعائمها وتوطيد أركانها غير مكترثة للحدود الجغرافية والعنصرية والجنسية والطبقات والتفاوت في المكسب والمعاش . والحكومة الاسلامية أول حكومة في الأرض أسست بنيان خلافتها الراشدة على دعائم الانسانية المحضة تحقيقا لهذا المطمح الأسمى والبغية العليا . وهي تراعي الرأي العام والمساواة في الحقوق وحرية الرأي والفكر والبساطة في المعيشة كل الرعاية في كل عمل من أعمالها .

ومن واجبات الحكومة الاسلامية ان تحافظ على نفوس الذين يقطنون في

بملكتها من غير المسلمين – اذا كانوا متعاهدين – وعلى أموالهم وأعراضهم وحريتهم الدينية وحقوقهم المدنية العامة . فأذا اعتدت قوة ظالمة على أموالهم واعراضهم ومدت اليها يد العدوان فمن واجب الحكومة الاسلامية أن تحاربها ولا تحملهم ما لا قبل لهم بحمله . والبلاد التي دخلت في حوزة المملكة الاسلامية بطريق المعاهدة والسلم ، لا بد للمملكة من المحافظة على الشروط التي تم عليها الصلح بينها وبين أهلها من غير المسلمين . ثم ان هذه الحقوق التي تمنحها غير المسلمين لا تكون مجرد فضل من الحكومة الاسلامية وأغلبيتها الساحقة من المسلمين . بل الحق انها ذمة الله وذمة رسوله في أعناق المسلمين لا يجوز لهم ان يغفلوا عنها طرفة عين أو يحيدوا عنها قيد شعرة .

المفاسد المزعومة

أما المفاسد التي تنسب الى الحكومة الدينية عامة . فالجواب عنها سهل يسير لا يحتاج الى كثير من البيان والتفصيل . فمن شاء فليرجع الى عصر الخلفاء الراشدين المهديين وليقارن بينه وبين الحكومات الحاضرة المتمدينة . ولينظر أيها أحلى جنى وأطيب ثمرا . وأرسى أصلا وأبسق فرعا .

فالذي نراه اليوم في كل صقع وفي كل ناحية من مظاهر الظلم والعدوان ونقض العهود واستغلال الأموال وسفك الدماء والخراب والدمار والتباغض والتنافر بين مختلف الطبقات البشرية وعدم المساواة بين الأفراد وبخس حقوق الجمهور ، لا نرى عينا لها ولا أثرا في عهد الراشدين الزاهر الذي لم يأت الزمان بمثله بعد .

وجملة القول أن هذه المفاسد المزعومة ليست من قبل الحكومة الدينية بل انما منشأها الحقيقي تلك الضلالات البشرية التي كانت سببا في تأسيس الحكومات المادية البحتة .

فكأني بالزعيم الوطني (غاندي) كان يقصد الى هذا الأمر نفسه حينما أشار على الوزراء الوطنيين سنة ٣٧ م أن يسيروا في شئون الحكومة وتدبير أمورها على منهاج الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر . وكذلك أشار القائد الاعظم – رحمه الله وغفر له – الى هذا الاساس من الدستور حينما ألقى خطبته الرئيسية في مؤتمر الطلاب المسلمين في جالندهر سنة ٤٣ م . فقال رحمه الله :

« والذي أراه وأعتقده أن القرآن الكريم قد بين منهاج حكومة المسلمين بما لا مجال فيه للمراء والارتياب . وذلك قبل ثلاثة عشر قرناً من يومنا هذا » .

وأيضا صرح بذلك في كتابه الذي بعث به الى فضيلة الشيخ (بيومانكي شريف) في شهر نوفمبر سنة ٤٥ م . ومما قال فيه :

« وغني عن البيان أن المجلس التشريعي الذي تكون أغلبية أعضائه من المسلمين لا يرجى منه أن يسن قوانين تناقض الشريعة الاسلامية . وكذلك لا ينتظر من سكان باكستان المسلمين أن يخضعوا لقانون غير إسلامي ويعملوا به .

فلم يزل القائد الاعظم وغيره من زعماء الرابطة الاسلامية يعلنون بمثل هذه الاعلانات الواضحة بين آونة واخرى قبل تأسيس باكستان بما لا يمكن استقصاؤه في هذا المقام خوف التطويل .

وصفوة القول انه لا يبقى بعد هذه التصريحات منزع للشك والريب – لا لمسلم ولا لغير مسلم – في ما كنا نقصده من وراء هذه التصريحات ونريده بها . أما ما يوجد اليوم من توجيه النقد الى النظام الاسلامي ودستور المملكة الاسلامية ، وما يقال فيها من مختلف الاقاويل ، فياليتهم لو تفكروا في ذلك وأبدوا فيه آراءهم واظهروا عدم رضاهم به حينما كانت هذه الاعلانات توزع وتنشر بصراحة تامة . وحينما عاهدونا على تقسيم البلاد على علم منهم ومعرفة بكل ذلك . وحينما اشتركت الاقلية الباكستانية معنا في الجد والكفاح معترفة بغايتنا ومسلمة للفكرة السائدة .

فأنى لهم اليوم ان ينحرفوا عن وجهة النظر في هذه ويتناسوها بعد ان برزت مملكة باكستان الى حيز الوجود ... وكيف يعلمون ان المملكة الهندوكية الجديدة قد انشئت بمساعي الهنادك والمسلمين الوطنيين معاً . وان باكستان انما أسس بنيانها بكفاح المسلمين وتضحياتهم الغالية وحدهم .

وما حداهم على ذلك الا فكرة المحافظة على خصائصهم وميزاتهم القومية . فان المتجاهل هذه الامور الواضحة البينة المتغافل عنها فلا كلام لنا معه .

ومما ينبغي ان لا يغفل عنه في هذا المقام ان سيل الاشتراكية الملحدة الجارف لا يزال يتدفق الينا من كل ناحية وصوب . وذلك بما حدث من الخلل والفوضى في نظام العالم الاقتصادي وحياة البشر الاقتصادية . والذي أراه وأعتقده اعتقاداً جازماً انه لا يمكن ان يقف في وجه هذا السيل الجارف ويقاومه الا النظام الاقتصادي الذي جاء به الاسلام . فاذا كنا نحب ان تبقى باكستان والعالم الاسلامي بنجاة من هذا الخطر الداهم وشروره ، فلا سبيل لنا الا بان نعلن

اعتزامنا على إقامة النظام الاسلامي القديم في باكستان ونشرع في العمل به من غير تلكؤ ولا تمهل . وندعو العالم الاسلامي كله الى الاجتماع على كلمة الله وإقامة الدين الحق والتعاون على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاذا اتحد على هذا المنوال جميع المالك الاسلامية في تشريعها وقانونها ودستورها ، فهنالك نستطيع فقط ان نظفر بالوحدة الاسلامية التي ما زالت نصب أعيننا منذ أمد بعيد . والتي يرجى منها ان تكون سداً منيعاً دون عدوان الاشتراكية المشئومة وشرور الرأسمالية الممقوتة .

الانقلاب التدريجي

وقد يخطر بقلوب كثير من الناس ان المنهاج الذي ما زالت تسير عليه شئوننا الاجتماعية الى يومنا هذا كيف يمكننا ان نغيره في يوم واحد باعلان التشريع الاسلامي وتنفيذه في البلاد . فاذا فعلنا ذلك ، كان انقلاباً عظيماً في احوالنا وتصرفاتنا الاجتماعية يقلب حياتنا القومية رأساً على عقب وكذلك نضطر عندئذ ان نربي ونخرج رجالاً غير قليلين لتنفيذ الدستور الجديد في البلاد . ويحتاج هذا العمل الى مدة من الزمن غير يسيرة ، فأقول ان في ما يقول به هؤلاء الناس جانباً من الصحة وقد يشعر به الذين يطالبون باقامة الدستور الاسلامي ايما شعور ولا نقصد بمطالبتنا باقامة الدستور الاسلامي والنظام الاسلامي الا ان تكون غاية المملكة وما تطمح اليه من الهدف الاسمى جلية واضحة . حتى ان كل خطوة نخطوها في هذه السبيل المباركة تكون مقربة لنا من الغاية المنشودة . والظاهر ان هذا العمل الهام لا يتأتى في عشية او ضحاها . بل لا بد له من التمهل والتدرج فكلما استطعنا ان ننهض به مسرعين ، فعلينا ان نقوم به على الفور من غير تلكؤ ولا امهال . واما حين لا نجد الجو ملائماً لتنفيذه ، فلنا ان نتريث في امره ونصرف ما في وسعنا من الجهد المستطاع لتمهيد السبيل له بأسلوب حسن بالغ في الحكمة فان الانسان لا يكلف فوق ما يطيق . وهذا ما صرحت به مراراً في مختلف خطبي التي القيتها وتصريحاتي التي أذعتها للناس قبل التقسيم . فقلت في خطبتي بلاهور مثلاً « انه من الممكن ان لا تتأتى هذه الغاية العليا المحبوبة الا بالتدريج غير ان الذي لا مراء فيه هو ان كل خطوة نخطوها في مهمتنا تكون اكثر واجدى من الخطوات التي قبلها تقريباً للأمة المسلمة الى هذا المقعد الزكي الطاهر ، كما ان ظلمة الليل لا تتقاص الا شيئاً فشيئاً ، ثم يتنفس

الصبح وتشرق الارض بنور ربها ، وكما ان السقيم الذي اضناه المرض لا يُبِل من مرضه بغتة ، بل يتدرج الى الصحة شيئاً فشيئاً ويتمتع بالقوة والعافية يوماً فيوماً . فهكذا نرجو ان تتقدم باكستان الى نشاطنا القومي واستقلالنا الكامل بخطى متئدة واقدام متزنة .

مهمة وضع الدستور الجديد

سيدي معالي الرئيس ! اريد في ختام الكلام ان اقول لاعضاء هذا المجلس الكرام ان لا يستوحشوا من هذا الاقتراح ولا يُفزعنهم هول ما انطوى عليه من المرمى البسيط . فها انتم ترون بأعينكم ان الخلاف بين مختلف الفرق الدينية تضاءل منذ نشأته وكاد ينعدم نفوذه بفضل حركة باكستان الجليلة ، وان بقي شيء من أثره اليوم ، فالامل ان تنقشع سحبه عن قريب بالتعاون والتوادد في ما بينها ان شاء الله تعالى . والفرق الدينية والبلاد الاسلامية كلها تشعر بمسيس الحاجة الى النظام الاسلامي وشدة افتقارها الى المنهاج الاسلامي العادل ، والذي أراه ان اخواننا من غير المسلمين اذا اختبروا هذا النظام العادل قليلاً ، تجلت لهم الحقيقة واطمأنت قلوبهم اليه وزال عنها بعض ما عسى ان يكون قد لصق بها من سوء الفهم وقلة الاستيناس بهذا النظام . بل المرجو انهم يغتبطون معنا بأننا ، نحن الباكستانيين ، جميعاً قد أسدينا باقامة هذا النظام خدمة جليلة للانسانية . وذلك في مثل هذا العصر الذي عمت فيه الفوضى واتسع الخرق على الراقع . وما ذلك على الله بعزيز .

فالامر الجلل الخطير الذي امامنا اليوم هو ان نفوض امر وضع هذا الدستور الجليل الى رجال ذوي صلاح متضلعين من علوم الشريعة عارفين بدقائق الدساتير الحديثة ودخائلها ، حتى يتمكنوا من مراعاة مختلف الجوانب والنواحي المهمة المودعة في هذا الاقتراح . وكذلك ينبغي ان يكون الذين يناط بهم هذا الامر متفطنين لما ينطوي عليه هذا الاقتراح من خفايا النكت البالغة ، حتى يتأتى الدستور وفق ما يرمي اليه هذا الاقتراح من الهدف الاسمى ولا تحيد عن جادة الحق قيد شعرة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بمناسبة الحديث عن الجامعة الاسلامية سأل احد مندوبي الصحف معالي الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية المصرية عن رأيه في فكرة الجامعة الاسلامية فادلى اليه معاليه بحديث ذكر فيه أنه يعارض كل ما من شأنه ان يقحم الدين في السياسة أو أن يتخذ الدين أساسا لافكار سياسية أو مسائل دنيوية تتصل بالدولة . واستشهد على ذلك بأن اسرائيل خلطت بين الدين والدولة فاتخذت من الدين جنسا واقامت دعوتها على هذا الاساس .

ونحن لا نوافق معاليه على هـذا الرأي خصوصا وان الاسلام لم يأت منظما لشؤون الآخرة فقط وانما جاء لهداية الناس لأقوم سبيل يسيرون عليه في الدنيا لكي يكونوا في الآخرة وفي الدنيا ايضا من السعداء . والاسلام ليس دين رهبانية لا صلة له بشؤون الحياة وانما هو دين جامع جاء بنظام كامل محكم يصلح لان تساس به الدنيا جميعها على اختلاف اجناسها والوانهـا بله المسلمين به والمؤمنين بقدسيته . ولقد أوضح هـذه النقطة فيما مضى المغفور له العلامة شبير احمد العثماني في خطبته التي اوردناها من قبل ونحن هنا نذكر رأي رجل من رجالات المسلمين هو سماحة السيد مبشر الطرازي الزعيم والعالم التركستاني الكبير (١) .

وجود الاتحاد الاسلامي

القى سماحة السيد مبشر الطرازي احد كبار زعماء تركستان وعلمائها الاجلاء خطبة عن وجود الاتحاد الاسلامي بدار جمعية حماية الاسلام بلاهور بالباكستان عام ١٩٣٦ بدعوة من فيلسوف الاسلام وشاعر الهند والباكستان العلامة محمد اقبال .

ونحن نورد هنا بعضاً مما تضمنته هذه المحاضرة القيمة :

١) من القوانين الاسلامية المقدسة المؤاخاة وبث الانساب المعنوية في عالم الاسلام وابنائه من غير تفريق بين عرب وعجم وبين قوم وقوم وقد هدانا الله الى هـذه المؤاخاة بقوله الحكيم : « انما المؤمنون اخوة » كما قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « المسلم أخو المسلم ـ الحديث » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ونعم ما قاله الشاعر :

---

(١) يسرنا أن نذكر أن معالي الدكتور محمد صلاح الدين بك قد صرح لبعض اعضاء المؤتمر الاسلامي بالقاهرة ان الحديث قد وقع فيه سوء فهم أو تحريف وأنه لا يذهب الى هـذا الرأي الذي نشر .

ابي الاسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وهذا القانون القدسي هو الذي يخلق ميل بعض المسلمين الى بعض وهو الذي يجعل الاباعد أقارب ويؤنس الاجانب بالاجانب وهو الذي يصير المؤمنين اخواناً واحباباً وان لم تجد بينهم انساباً كما في امثال العرب الدائرة في محافل الادب « رب اخ لك لم تلده امك » . وهو الذي يجلب الرجال الى الرجال ويؤدي الى امثال هذه المصاحبة حتى اني اجترئ، واقول على رؤوس الاشهاد « ان الاخوة الاسلامية فوق الاخوة النسبية » ، كما هو المصرح به عند فقهائنا العظام في مسألة المتوفى الذي لم يورث الا أخاً مرتداً فان ميراثه لا يعطى لاخيه لارتداده بل يضبط في بيت المال - لاخوانه المسلمين . واقول ان المناسبة الاخوية فوق جميع المناسبات فلو اجتمع المسلمون الذين يصل عددهم اليوم الى سبعمائة مليون نسمة كما في الاحصاء الاخير لجمعية الامم ، حول مركز الاخوة وراعوا حقوقها التي قررتها الشريعة المحمدية كما أوجبتها الطبيعة الانسانية لتمالكوا موقعاً مهيباً في انظار الملل وحازوا محلا مؤثراً في جميع شؤونهم التي لا اريد تفصيلها وهذا مما لا يحتاج في اثباته الى استدلال :

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

٢) ومن القوانين الاسلامية المحبة والوفاء بحقوقها مع الثبات عليها . وقد حث الله عز وجل الى هذه المحبة في وصفه للانصار حيث قال « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وعقبها بالكرم والايثار كنتيجة لازمة لها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ، ولا يخفى على المتدبر ما في هذا الحديث من الحكم القيمة والرموز الدقيقة وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله « ان المتحابين من الله على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الانبياء » الى هذه المحبة وصرح بعلوية مقام المتحابين من الله حتى انه لو لم يحصل هذا المقام للأنبياء لغبطوا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وقد عد

الرسول الحكيم عليه الصلاة والسلام هـذه الامور « ومنها التوادد » من شعار المؤمنين الذين يلزم عليهم ولا يكاد يفارقهم مهما ثبتوا على ايمانهم وتحفظوا على كونهم مؤمنين وقد اعجبني ما نسب الى الزعيم المصري المرحوم سعد زغلول باشا من قوله « يعجبني الصدق من القول والاخلاص من العمل وان تقوم المحبة بين الناس مقام القانون » .

نعم إذا انعمنا النظر وكررنا الفكر لم نجد بداً من الاعتراف بان المحبة بين الامم الاسلامية أسس السعادة واساس نظام الدنيا والدين فلو تشبكت المحبة بين قلوب المؤمنين ودامت فيهم - كما كانت بين السلف - مع رعاية حقوقها واتباع شؤونها لما ظهر فساد ، وانتظم امر المبدأ والمعاد ولكن « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » ، وفقنا الله واياكم بالتوبة والرجوع .

٣) ومن القوانين الاسلامية « التعارف » فقد قال الله سبحانه « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ففي قوله الحكيم « لتعارفوا » اكمل حث للزوم التعارف بين قبائل المسلمين وطبقاتهم . نعم ان الاسلام يوجب التعارف بين ابنائه كما نلمح في مشروعية الحج من الاجتماع في صعيد واحد . ولا شك من احتياج المسلمين ديانة واضطرارهم طبيعة الى التعارف المفهوم بجميع ما فيه من المعاني الدقيقة واطلاع بعضهم على احوال بعض لكي يتمكنوا من اصلاح شؤونهم ومعالجة دائهم الذي اوقعهم واضجعهم مضجعا نازلا واوقعهم موقعا سافلا ، فبالتعارف يتم الامر وبه ينال المقصود مهما كبر وبه ينجح المرء في اقدامه ومجاهداته سواء كانت شخصية أم ملية .

٤) ومن القوانين الاسلامية « التعاون » وقد هدانا الله اليه بقوله الحكيم « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله » الآية .. فقد أمر الله في هذه الآية بتعاون المسلمين فيما يعود الى البر والتقوى وما فيه منافع الاسلام والمسلمين كما نهى عن التعاون على الاثم والعدوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على التعاون الذى يلزم ان يفهم بمعانيه المقصودة التي ترجع الى رفع شأن الاسلام والمسلمين واسعافهم في طلباتهم سواء أكانت عائدة الى حالة شخصية أم الى قضية ملية .. نعم ان هذا العالم عالم

الاحتياج ، عالم الاسباب ، فلذا نرى اضطرار بني الانسان في كل حين الى التعاون في جميع معاملاتهم وصناعاتهم ، خاصة في ادارة احوالهم السياسية والاجتماعية وحفظ شؤونهم وصيانة مقامهم والنيل لمقاصدهم الشخصية والملية . ولا شك في ان المسلمين في اشد الاحتياج وفي اقصى الاضطرار الى التعاون . ولعل هذا لا يحتاج الى دليل ولا تفصيل . ولو عرف المسلمون معنى التعاون مع ما فيه من الرموز الدقيقة وتعاونوا بينهم حق التعاون وبذلوا في سبيله نفسم ونفيسهم ولم يقصروا في ايفاء الحقوق التي تعود الى هذا التعاون المأمور به في شريعة الاسلام لاصبحوا قادرين على حل كل مشكل وتسهيل كل صعب . نعم . . . ان همة الرجال تقلع الجبال . .

٥) ومن القوانين الاسلامية معرفة الوظائف الشخصية وادائها والواجبات الملية وايفائها وقد هدانا الله عز وجل الى هذه الوظائف والواجبات بسورة « والعصر » فان الله عز وجل عمم الخسران على الناس كافة ثم استثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبهذا عين الوظائف الشخصية التي تلزم شخص كل انسان وبقوله : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . بان صرح واشار الى الوظائف الملية التي تجب على كل من بني آدم نحو ابناء البشر كما اكدها في مواضع عديدة من القرآن الحكيم نصاً واشارة . فلو عرف المسلمون ما يجب عليهم من وظائفهم سواء أكانت شخصية او ملية ثم راعوها حق الرعاية فشمروا عن سواعدهم في أدائها وبذلوا جهودهم في ايفائها ثابتين على ما خطه لهم الشرع الاسلامي من مناهج النجاح والفوز لاصبحوا سادة غانين ولأعادوا مفاخرهم الاسلامية ومكانتهم العالية التي تتضمنها الصحف الذهبية من تاريخ العالم ولكن ...

٦) ومنها الاتحاد والاتفاق وترك التفرق والنفاق وهذا هو القانون المقدس الذي ارشدنا الله اليه وامرنا به قائلاً « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ولا (الآية) » ، وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالجماعة واياكم والشعاب » ، وانا اجترىء واقول حال كوني معتقداً بما امرنا الله سبحانه وموقناً بما قاله رسوله عليه الصلاة والسلام لعمري لا يسود المسلمون حتى يسود الاتفاق عليهم ويحل فيهم حلول الدماء في العروق وتتصل ربقة الاتحاد بينهم كاتصال الحبال في اعناق النوق .

وما اختل هذا القانون الالهي من قوم الا اختل انتظامهم وسادت الفوضى عليهم واضمحلت قواهم ، وتبددت مفاخرهم وذهبت ريحهم وقوتهم وانقضت سيادتهم واصبحوا أسرى في ايدي الاجانب والاغيار ، يتفقدون من يغيثهم من الزعماء

الاخبار ويسألون من يضمد جراحهم ويجبر كسورهم ويكمل نقصانهم وقصورهم ويرشدهم الى طريق غير طريقهم وينجيهم عن فريق غير فريقهم هذا .

فلو مشى المسلمون كلهم على هذا الحد القويم وثبتوا على الخط المستقيم متنابين بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وامتدت فيهم تلك السلسلة الاتحادية التي مدت بين ابناء الاسلام من قبل السلف بمجاهدات عظيمة ومساع قيمة لما أصابهم اليوم ما أصابهم « وما اصابك من سيئة فمن نفسك » الآية . وقد قال ابو الفتح البستي :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامــة ولحصد الزرع ابان

اخواني : هذه هي تعليمات كتاب الله وسنة رسوله التي عبرنا عنها بالقوانين الاسلامية والتي نؤمن بها ونقدسها والتي يجب أن يتخذها العالم البشري عامـة والاسلامي خاصة اساساً للنهوض والارتقاء ودستوراً لقطع العقبات وحل المشكلات في سبيل الوصول الى المقاصد ونيل السعادة الابدية التي ينزع اليها ويحرص عليها كل انسان .. كما يجب على الاخص ، أن تتبعها الحكومات الاسلامية في خطوط سياستها واجراء امورها .

حركة الوحدة الاسلامية

بينا فيما سبق ان الوحدة بالنسبة للاسلام اساس من اسسه ودعامة من دعائمه في كل مظاهره وجواهره .. ولذلك فانه ما ان اخذ المسلمون في الابتعاد عن دينهم وقلة الاهتمام بتنفيذ ما جاء به وانسياقهم وراء تيار المدنية الغربية وبهرجها الكاذب ووقوعهم فيما اعده لهم المستعمرون من شراك الهلاك وهي التفرق والانقسام وعدم فهم الاسلام فهماً صحيحاً من انه دين كامل يجمع شؤون الدنيا والآخرة ولا يفرق بين المسلم في شخصه وبين المسلم مع اخوانه او في عمله وبينه وبين الدولة .

نقول من يوم ان ابتعد المسلمون عن دينهم بدأت وحدتهم تتفكك وقوتهـم تذهب ووقعوا جميعـاً غنيمة في ايدي المستعمرين الذين وان اختلفت اسماؤهم واجناسهم الا انهم متفقون جميعاً على القضاء على الشعوب التي تئن تحت حكمهم .

ولقد بلغ من خفاء الشراك التي نصبها المستعمرون للقضاء على الوحدة الاسلامية انهم عمدوا الى ايقاظ النعرات الوطنية والتعصبات الطائفية والجنسية وجعلوا البعض يعتقد انه يعمل للمصلحة العامة لبلاده حينما يدعو الى فكرة قبلية او حركة قائمة على اساس التعصب لجنسه . ورأينا من آثار ذلك ظهور انصار للفكرة الفرعونية

في مصر والبابلية في العراق والفينيقية في لبنان و .. و .. الخ هذه الحركات التي اخذت في الانحلال لان اساسها واه ودعوتها خاطئة .

متى بدأت الحركة في العصر الحديث

وقد بدأت الدعوة الى الوحدة الاسلامية في العصر الحاضر قبيل انهيار آخر رمز لها وهو الخلافة العثمانية التي وان كانت لا تمثل الخلافة الاسلامية بكامل شكلها وجوهرها الا انها ظلت محافظة فترة من الزمن على الوحدة بين المسلمين ولو من ناحية الشكل . ولا شك ان الداعية الاول في هذا الميدان هو المرحوم جمال الدين الافغاني الذي اقترنت دعوته الاصلاحية الاسلامية بالدعوة للوحدة الاسلامية الصحيحة لانه كما سبق ان ذكرنا ان انهيار وحدة المسلمين جاء نتيجة لعدم فهمهم الاسلام فهما صحيحا وعدم عملهم بما جاء به الاسلام .

وقد ظهر في مختلف انحاء العالم الاسلامي دعاة للوحدة الاسلامية كانت في الغالب دعوتهم تبدأ بالعمل على عودة المسلمين الى دينهم ومن ثم الى وحدتهم . وبعضهم كان يرى الوحدة الاسلامية في شكل الخلافة فقامت جمعية الخلافة وبعضهم يراها في تأسيس جامعة اسلامية تضم الدول الاسلامية (كاسلامستان) مثلا وبعضهم يراها ان تبدأ في شكل مؤتمرات اسلامية عامة او خاصة بناحية من النواحي وتختلف الوسائل المؤدية الى ذلك عند كل الا انها تتفق جميعا في ان الضرورة اصبحت ماسة في جمع كلمة المسلمين وتوحيد اهدافهم حتى يستطيعوا ان يتحرروا من القيود التي فرضها عليهم الاستعمار وانه اذا لم يأخذوا باسباب هذا التجمع فان الزمن سيسبقهم وحينئذ تفوت الفرصة من ايديهم ويظل مصيرهم مزعزعاً اعواماً طوالا .

ومع ان الدعوة لفكرة الوحدة الاسلامية او الجامعة الاسلامية ظهرت قبل فكرة الوحدة العربية الا انها لم تأخذ بعد شكلاً رسمياً كما اتخذته الفكرة العربية في الجامعة العربية وذلك راجع الى عدة عوامل منها :

- انها تضم بلاداً ودولاً اكثر عدداً من الدول العربية كما ان فكرة الوحدة الاسلامية قد لاقت من المستعمرين حرباً شديدة لم تواجهها الفكرة العربية .
- انتقال القائمين بأمر الدعوة اليها الى الرفيق الاعلى قبل ان تتحقق عملياً فكرتهم مما حمل بمن جاء بعدهم الى البدء من جديد .

- تفرق الاهداف وكثرة الخلافات السياسية والطائفية والمذهبية .
- فقدان لغة تفاهم مشتركة عامة بين البلاد الاسلامية كاللغة العربية مثلاً .
- بعد المسافة وقصور وسائل الاتصال في الماضي عن تعميم الدعوة لهذه الفكرة وتجمع المسلمين حولها .
- عدم نضوج الوعي الديني وكثرة الحركات السياسية الوطنية وانشغال كل بلد في شئونه الخاصة .

المؤتمرات والهيئات

وقد قامت من أجل الوحدة الاسلامية هيئات ودعوات ومؤتمرات منها المؤتمر الذي دعي اليه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وعقد في الحجاز وكذلك المؤتمر الاسلامي الذي عقد بالقدس وغيرهما . وقد كانت كل هذه المؤتمرات محاولة للوصول الى نتيجة حاسمة في علاقات بعض البلاد الاسلامية ببعض .

ولكن مع الاسف لم تصل هذه المؤتمرات وتلك الهيئات والاجتماعات الى نتيجة حاسمة بقيام الجامعة الاسلامية أو الحلف الاسلامي أو الكتلة الاسلامية .

ونرجو أن تتوحد الجهود ويصل العالم الاسلامي الى الوضع الضروري له وهو تكتله .

وفيما يلي معلومات عن بعض المؤتمرات والهيئات التي قامت أو نادت بالوحدة الاسلامية .

الوحدة الاسلامية في دعوة الاخوان المسلمين

فهم ضيق

من الناس من يفهم الاسلام فهما محدودا ، فيرى هذا الدين العظيم قاصرا على ركعات صماء ، واستغفار هو في حاجة الى استغفار ، وهم بالاجمال يحصرونه في دائرة العبادات من صلاة وصيام ، وزكاة وحج ، وذكر ودعاء . . اولئك لم يعرفوا من الاسلام الا طرفا وخفيت عليهم اطراف ، وادركوا من محيط مشتملاته شيئا ، وغابت عنهم أشياء .

ولا ريب في ان هذا الفهم القاصر والادراك المحدود انما هو نتيجة للجهل بطبيعة الاسلام ، ومقاصده العليا ومراميه السامية ، وقد ساعد على انتشار هذا الجهل ، وتنشر هذه الصورة المشوهة عن الشريعة الغراء ، اعداء الاسلام فأرادوا

ان يحصروا هذا الدين داخل جدران المساجد ، وان يجعلوه صلة روحية بين العبد وربـــه ، وان يقطعوا ما بين الدين والحياة من اسباب ، وبذلك يسدوا على الاسلام الخالد المتجدد مصادر القوة ومنافذ الذيوع والانتشار .

***

دعوة الاخوان المسلمين

فلا عجب اذا قام الاخوان المسلمون منذ اكثر من عشرين عاما ينفضون عن الاسلام غبار المضللين ، ورواسب القرون ، ويزيلون ما علق بـه من اوهام . وينشرونه على الناس واضحا جليا ، ويعرضون مبادئه وتعاليمه ، على المسلمين قبل غيرهم ، صافية من غير كدر ، بيضاء من غير سوء ، براقة يبهر سناها الابصار .

أجل منذ اكثر من عشرين عاما قـام الاخوان المسلمون ينادون في الناس بمبادىء الاسلام ، ويهتفون بالقرآن دستورا ، ويوضحون لكل منصف ان الاسلام ليس عبادة فحسب ، ولكنه عبادة وقيادة ، دين ودولة ، مصحف وسيف ، نظام وتشريع وثقافـة وخلق ، وسياسة واجتماع ، ووطن وجنسية فالاسلام فضلا عن انه دين وعقيدة ، وبجانب ما جاء به من عبارات ، وما دعـــا اليه من اخلاق فاضلة ومثل عليا ، فهو نظام شامل كامل يسيطر على جميع نواحي الحياة .

فهو نظام سياسي ينظم العلاقـة بين الحاكم والحكومة ، ويفرض الشورى ، ويقرر المساواة ، ويقدس حرية الرأي ، ويبني الحكومة على اساس من العدل .

وهو نظام اجتماعي يبين اسس المجتمع الفاضل ، ويوضح قواعـد المدنية الحقة والحضارة المنتجة . وهو بعـد ذلك ومعه نظام اقتصادي له خصائصه ومميزاته التي تجعله نسيجا وحده ، وتجعل من نظامه خير نظام أخرج للناس .

وهو ايضا قانون وتشريع يمنع الجرائم قبل وقوعهـــا ، فاذا حدثت استأصل شأفتها واجتث جذورها ، وحفظ للأمة سلامتها وتماسكها ، وللمجتمع كيانـــه وبنيانه ، وللافراد أرواحهم واموالهم واعراضهم .

واخيرا ، وليس آخرا ، الاسلام وطن وجنسية ، فكل شبر في الارض فيه نفس يردد لا اله الا الله ، هو قطعة من صميم الوطن الاسلامي ، وجزء مقـدس من لب بـــلاد الاسلام ، وليس ذلك اجتهادا ، ولكنا نراه في آيات الله واحاديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه فيقول الحق تبارك وتعالى ، وهو أصدق القائلين « انما المؤمنون اخوة » وفي آية أخرى « كنتم خير أمة اخرجت للناس »

ويقول الصادق الامين عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

وعلى ذلك فالمسلم اخ لكل مسلم مهما اختلفت اللهجات والالوان ، والمسلمون أمة واحدة مهما تباعدت ديارهم وبلادهم ، بل هم جسد واحد مهما امتدت اطرافه في الشمال او الجنوب ، في الشرق او الغرب .

وفي كلمة ، الاسلام وطن وجنسية ، والمسلمون في مشارق الارض ومغاربها اخوان يعيشون في وطن واحد مهما امتدت حدوده واتسعت رقعته ، ولو شمل العالم جميعا . فهناك مسلمون يعيشون في وادي النيل ، وآخرون يعيشون على ضفاف دجلة والفرات ، وفريق ثالث يسكن في الباكستان واندونسيا ، ومجموعة اخرى من مذهب الامة المحمدية القرآنية ، تسكن جزءاً آخر من هذا الوطن الاسلامي الواحد ، في ليبيا وتونس والجزائر ومراكش ..

***

هذا هو فهم الاخوان المسلمين للأسلام ، وذلك هو ايمانهم به جملة وتفصيلا ، وقد قاموا منذ اكثر من عشرين عاما ينشرون على الناس هذا الفهم الصحيح الدقيق ، ويبثون في مصر والعالم العربي الاسلامي هذا الايمان الراسخ العميق ، ولئن رماهم بعض الناس بانهم خياليون ، الا انهم قوم عمليون ، وهم يعلمون ان الرسالة ضخمة ، والمهمة ثقيلة ، ولكنهم يؤمنون بوعد الله ويثقون بنصره ، والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

***

الحرية لكل قطر

والاخوان المسلمون يوقنون ان الطفرة محال ، وان التدرج من سنن الله في كونه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فلا بد لتحقيق هذه الوحدة الاسلامية من مراحل مقدره تجتازها أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، في صبر وكفاح ، وفي تضحية وجهاد ، حتى يتم الله نوره ولو كره الكافرون .

واولى هذه المراحل تحقيق استقلال كل قطر عربي واسلامي ، فالاسلام ضد الاستعمار ، وهو لا ينمو ولا يحيا الا في تربة من الحرية والعزة والكرامة « لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

الجامعة العربية

ثم لا بد من تقارب البلاد العربية واتحادها كخطوة أولى نحو الهدف المنشود، لأن العرب هم اهل القيادة، وفيهم مركز الزعامة، فاذا عز العرب عز الاسلام، واذا تجمعت هذه النواة من اتحاد العرب ثم قوي الاتحاد حتى صار وحدة، كان ذلك بمثابة النواة التي ينسج حولها نسيج الوحدة الاسلامية.

الجامعة الاسلامية

فاذا ما تمت الوحدة العربية، سار العرب خطوة اخرى، فضموا اليهم البلاد الاسلامية في اتحاد عام يتكون منه الجامعة الاسلامية التي تربط بلاد المسلمين وأمصارهم، وتوثق الروابط بينهم، وتوحد بين اتجاهاتهم ونظمهم.

الوحدة الاسلامية

حتى اذا توثقت العرى وتوحدت الثقافات والتشريعات والنظم على اختلاف انواعها من علمية واقتصادية وعسكرية وسياسية، عندئذ تتم الوحدة الاسلامية بكل معانيها، ويتحقق الامل المنشود، ونسترد التراث المفقود. سيقولون خيال، ولكننا نؤمن ان احلام الزمن هي حقائق اليوم، وان احلام اليوم هي حقائق الغد، وان وعد الله حق، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.»

***

وعملا بهذا الفهم الواسع العميق لرسالة الاسلام، وتنفيذا لهذا البرنامج الضخم الذي رسمه القرآن الكريم، ودعا اليه الرسول العظيم، عليه الصلاة والسلام، قام الاخوان المسلمون منذ اكثر من عشرين عاما يدعون الى تكوين الجامعة العربية في وقت سيطرت فيه النعرة القومية، وسادت فيه الحركات الوطنية الاقليمية، وكان ذلك دسيسة من المستعمرين الذين علموا ان قوة المسلمين في وحدتهم واتحادهم، وان مفتاح استعبادهم وامتصاص خيرات بلادهم، هو في تفكك هذه الامة وفي تقطيع اوصال هذا الجسد الواحد.

وظلت دعوة الاخوان المسلمين الى الجامعة العربية غريبة فريدة، حتى جاءت الحرب العالمية الاخيرة وقبيل انتهائها تحقق الحلم وبرزت الفكرة الى حيز الوجود. وقد شجع الاخوان المسلمون الجامعة العربية وباركوها، وهم يعلمون انها خطوة لا بد ان يتبعها خطوات، وانما ما هي الا مرحلة طبيعية من مراحل السير نحو

الوحدة المقصودة .

والاخوان المسلمون يؤمنون بان الزمن جزء من العلاج ، وان ما هدمته القرون لا يمكن ان يبنى في سنة او سنين ، وان التدرج امر لا بد منه حتى يأمن المسلمون العثرات ، ولذلك في الوقت الذي شجعوا فيه الجامعة العربية في صورتها المتواضعة ، كانوا — وما زالوا — يدعون الى ان تتطور الجامعة العربية حتى تصبح وحدة عربية ، وذلك برفع الحواجز الجمركية ، والغاء جوازات السفر ، وتنسيق النظم الاقتصادية ، وتوحيد التعليم والتشريع ، واخيرا توحيد التدريب والسلاح للجيوش العربية وكذلك السياسة الخارجية .

وقد قطعت الجامعة العربية شوطاً ثم واجهتها محنة فلسطين القاسية فترنحت واشرف البناء على الانهيار ، ولكن العرب في يقظة ، وهم لن يرجعوا الى الوراء ، بل سيستفيدون من الاحداث ، فاذا كانت الايام قد كشفت عن نواحي الضعف في تكوين الجامعة العربية ، فالعلاج لا يكون بالقضاء عليها وانما بتدعيمها وتقويتها حتى تتجه نحو الوحدة المنشودة .

ولا يمكن ان ننسى تعاون البلاد العربية في السياسة الخارجية وفي مواقفها في المنظمات الدولية بما كان له أحسن الاثر ، وحتى اصبح العرب قوة ترهب وتطلب ، وقد بدأ التفكير عن الضمان الجماعي للبلاد العربية بل هو في حيز الدراسة والتمحيص على اساس تنسيق النظم العسكرية والاقتصادية وهي من اهم عناصر الوحدة العربية ومقوماتها ، وفي رأيي ان العرب سيتجهون حتما نحو الوحدة الكاملة الشاملة .

***

وفي الوقت الذي تتطور فيه الجامعة العربية نحو الوحدة العربية ، اخذت الاصوات ترتفع حديثا — كما ارتفع صوت الاخوان المسلمين من قبل — تنادي بالوحدة الاسلامية . فالسيد خليق الزمان رئيس الرابطة الاسلامية بالباكستان يطوف البلاد العربية والاسلامية داعيا الى مشروع « اسلامستان » .

وجلالة ملك الافغان في زيارته لمصر والعراق يتحدث مع المسئولين عن تكوين كتلة تضم البلاد العربية وايران وافغان والباكستان .

وهكذا يسير المسلمون خطوة اخرى نحو الجامعة الاسلامية التي تجمع المسلمين من مراكش الى اندونسيا ، ولن يقف المسلمون عند هذا الحد ، بل انهم لا بد مواصلون السير حتى تصبح الجامعة الاسلامية وحدة اسلامية فتتحقق الوحدة الثقافية

والاقتصادية والتشريعية والعسكرية والسياسية بين بلاد المسلمين جميعا ، ويومئذ تظهر الى الوجود « الكتلة الثالثة » وهي الكتلة الاسلامية التي لا هي شرقية شيوعية ، ولا هي غربية رأسمالية ، ولكنها اسلامية قرآنية ، وهذه الكتلة الاسلامية وحدها هي التي تستطيع ان تحفظ التوازن الدولي ، وتحقق العدالة وتنشر السلام العالمي الذي عجزت عن تحقيقه عصبة الامم ومن بعدها هيئة الامم المتحدة .

ويومئذ يستطيع المسلمون ان يسيروا بسفينة الانسانية الى شاطىء الأمان وبر السلامة ، وان ينيروا للعالم الضال المضطرب طريق الحق والحرية ، والعدل والاخاء والمساواة الحقيقية ، وان يسعدوا الناس جميعا بنور الاسلام ونظم القرآن وهدي خير الانام عليه الصلاة والسلام .

وليس هذا من قبيل الخيال ، فها هو رئيس حكومة المانيا الغربية يتحدث ويدعو الى قيام الحكومة الاوروبية ، وان يكون للبلاد الاوروبية جميعا برلمان واحد وحكومة مركزية تشرف على مصالح الدول الاوروبية جميعا ، بل ان هناك من ابناء الغرب من يدعو الى « العالمية » وهناك المواطن العالمي الذي لا يريد ان يتقيد بجنسية معينة ويرى ان العالم وطن واحد .

وهذه الصيحات التي تتردد حديثا داعية الى الوحدة المحدودة أو الى الوحدة العالمية ، قد سبقها الاسلام بما يقرب من اربعة عشر قرنا ، فالاسلام دين عالمي ، والمسلم مواطن عالمي بحكم عقيدته ، ورسالته في الحياة رسالة عالمية ، فهذه الحدود بين البلاد العربية والاسلامية هي حدود وهمية وقيود تعسفية ، وضعها المستعمرون ، وفرضها اهل الغرب بالحديد والنار على العرب والمسلمين . ويوم يحطم المسلمون هذه القيود ، ويمحون هذه الحدود ، سينطلقون في مشارق الارض ومغاربها داعين الى الوحدة العالمية بعد ان حققوا الوحدة الاسلامية .

***

هذه هي الوحدة الاسلامية ، وهي الامل المنشود والتراث المفقود ، يؤمن بها الاخوان المسلمون أشد الايمان ، وهم يهتفون بها ويدعون اليها منذ اول يوم من دعوتهم ، وقد عملوا وسيعملون ان شاء الله على تحقيقها ، واضعين ارواحهم ودماءهم وجهودهم فداءها ، لانها من صميم دعوتهم التي هي صدى للدعوة المحمدية الاولى ، وتجديد للرسالة الاسلامية العظمى ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » صالح عشماوي

في شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ قامت في أذهان ممثلي الثقافات الاسلامية المختلفة المقيمين بالقاهرة فكرة العمل على تبادل المعارف والثقافات والسير نحو الوحدة عن طريق هذا الاتصال الثقافي فدعت الى اجتماع تاريخي تم انعقاده بدار الجالية الهندية بمدينة القاهرة إذ ذاك وكانت البداية المباركة إنشاء جماعة الاخوة الاسلامية وعلى رأسها الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب وأستاذ اللغات الشرقية بها سابقاً ووزير مصر المفوض الآن لدى المملكة العربية السعودية ، وكذلك العلامة الفيلسوف المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري صاحب التفسير والتآليف الاسلامية القيمة مع من انضم الى الجماعة من العلماء والأدباء وذوي الاقدار العالية والمناصب الجليلة . وكان للجماعة من وزارتي الشؤون والاوقاف ما يسجل بالثناء والتقدير . وامتد هذا الجهاد الاولي في دار الجماعة بقبة الغوري بين تصنيف وتعليم لغات وتعريف بالاوطان والاقطار وترجمة لنفائس الفنون والآثار الى ان اندلعت نار الحرب العالمية الاخيرة وامتد أوارها حتى اقترب من الحدود المصرية مما اضطر الكثيرين من النزلاء الى مغادرة مصر والعودة الى بلادهم ، وكان من هؤلاء الذين عادوا الى اوطانهم الاستاذ محمد حسن الاعظمي سكرتير الجماعة فعمل على ان يكون سفره بمثابة امتداد لأعمال الاخوة ونشر فكرتها ورفع منارها في اقطار كانت آمنة مطمئنة بمنأى عن ميادين الحرب وويلاتها . ووصل الى البنجاب وبدأ تشكيل فرع للجماعة بلاهور في سبتمبر ١٩٤٠ ثم في حيدر آباد الدكن بعد ذلك . ونظراً لما كانت تقضي به الحالة السياسية في ظروف الحرب رأى من الحكمة قصر جهوده على نشر العربية باعتبارها لغة الاخوة المشتركة ، وهذا في مقدمة الاغراض الهامة في مبادىء الجماعة . وما ترك حيدر آباد الا وفي الهند عشرات المدارس والجماعات الفرعية لتعليم العربية وإلقاء محاضرات اسبوعية وإجراء مسابقات تمنح فيها الجوائز للمتفوقين مما يبشر اللغة العربية بعهد زاهر . واستمر ذلك الجهد المتواصل حتى قيام دولة الباكستان عام ١٩٤٧ ، وفي خلال تلك الجهود الآنفة في خدمة الاخوة وتحقيق ما امكن تحقيقه من اغراضها الادبية والثقافية حادث القائد الاعظم المغفور له الخالد الذكر « محمد علي جناح » في عدة مقابلات خاصة عن تكوين جماعة الاخوة ، فأبدى الاغتباط بالفكرة إلا انه أشار بوجوب العمل أولاً على تحقيق فكرة الباكستان التي تعد اول منازل الاخوة الاسلامية ومقدمة المراحل في سبيل

إنجازها وبعد ان تم للمسلمين تشكيل حكومة الباكستان غادر الهند اليها ولبث ما يزيد على ستة اشهر عاملاً على تحقيق ما كان دائباً عليه من نشر لغة القرآن باسم الجمعية العربية العامة بالباكستان التي أولتها الحكومة بعد ذلك اشرافها ورعايتها ولما تبين تأييد القائد الاعظم وهو يومئذ الحاكم العام للباكستان رأى ان يستأنف انشاء جماعة الاخوة في نطاق اوسع وعرض فكرتها على وزراء الباكستان وزعمائها فأعيد تشكيلها تحت رئاسة وزير الداخلية بصفته الشخصية وانعقد الاجماع على اسناد رئاسة الشرف الى القائد الاعظم وبعد مضي عام تجدد انتخاب مجلس ادارتها برئاسة شيخ الاسلام العلامة شبير أحمد العثماني وفي عام ١٩٤٩ أصدرت الجماعة قرارها بأن تعمل على تحقيق فكرتها بتكوين مؤتمر اسلامي دائم يكون أقدر على اعلاء كلمتها وأوفى بتحقيق غايتها ، فوجهت الدعوة الى الاقطار الاسلامية الشقيقة للاشتراك في المؤتمر الذي تم انعقاده في ايام ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، فبراير ١٩٤٩ وتألف من ممثلي ثمانية عشر قطراً اسلامياً ومع ان هذا المؤتمر انما قام تأليفه على الشعوب واستقى مادته من الشعور النبيل للأفراد والهيئات الاسلامية دون الحكومات فقد أحدث انعقاده هزات عنيفة في مختلف الأوساط وتناولته الهيئات العليا بالبحث والتعليق وتناجت به الأصداء من دور الاذاعات وشركات الأنباء في عواصم اوروبا وامريكا ولم يخل المؤتمر من مندوبين لبعض الحكومات . كما اذاع رئيس حكومة الباكستان والزعيم السياسي العالمي لياقت علي خان خطاباً قلد فيه المؤتمر وشاحاً من الثناء والترحيب .

ومن ثمة قرر اعضاء الاخوة والمشتركون فيها تسميتها « المؤتمر الاسلامي الدائم » كما أعلن ذلك في حينه من دور الاذاعة اللاسلكية وفي كبريات الصحف العالمية .
وتقرر جعل عاصمة الباكستان مركزاً رئيسياً للمؤتمر .

وقد اتاح قيام الباكستان فرصة مواتية لتحقيق فكرة الاخوة في إنشاء هذا المؤتمر فلم يكن قيام هذه الدولة الفتية إلا لتحقيق المعنى الاسلامي الذي يرتفع بإيمان المسلم ومقامه عن الانحياز الى الدائرة المحدودة في عصبية القبيلة والاقليم ، وهي الفكرة التي وضع خطوطها الاولى العلامة الكبير السيد جمال الدين الافغاني ، وهتف بها شعر اقبال وبيانه ، وحققها القائد الاعظم في صورتها العملية ويومها الحاضر بفضل أنصاره المخلصين ، وفي طليعتهم رجال حكومته وايمان ثمانين مليوناً هم أمة الباكستان المسلمة .

وقد قامت الآنسة « فاطمة جناح » شقيقة القائـد الاعظم بالدور النسوي في هذه الحركة المباركة وما تزال بعد انتقال شقيقها الى جوار ربـه تولي المؤتمر اعظم جهد من نشاطها الملحوظ .

انعقاد المؤتمر الاسلامي الدائم

وانعقد المؤتمر الاسلامي العالمي بمدينة كراتشي عاصمة الباكستان في الثامن عشر من شهر فبراير ١٩٤٩ وظل انعقـاده حتى اليوم العشرين منه بحضور ممثلي ثمانيـة عشر قطراً إسلامياً وهم ممثلو الدول الآتية :

١ الباكستان (البنغال – البنجاب – بلوخستان – السند – والحدود الشمالية)

٢ كشمير الحرة	٣ حيدر آباد الدكن
٤ جزيرة سيلان	٥ مصر
٦ البلاد العربية السعودية	٧ العراق
٨ سوريا	٩ اليمن
١٠ لبنان	١١ افغانستان
١٢ فلسطين	١٣ الملايو
١٤ اندونيسيا	١٥ تونس
١٦ بورما	١٧ مسقط

١٨ القبائل الحرة بين الحدود الشمالية (سرحد) وأفغانستان

وقد قرر المجتمعون في هيئة المؤتمر تأليف الهيئة التأسيسية والهيئة التنفيذية على الوجه المبين بعد

الهيئة التأسيسية

تألفت الهيئة التأسيسية للمؤتمر من عضو يمثل كل قطر إسلامي مشترك في المؤتمر على ان يمثل الباكستان خمسة اعضاء عن مناطقهـا الخمس وكذا مندوبـة من الباكستان تمثل المرأة المسلمة بالهيئة وبذلك يكون مجموع اعضاء هذه الهيئة ثلاثة وعشرون عضواً .

الهيئة التنفيذية

تألفت الهيئة التنفيذية للمؤتمر من عشرة اعضاء وهم :

١ – الرئيس : شيخ الاسلام العلامة شبير احمد العثماني الحافظ الثقة الشهير

والمحدث الكبير المدير السابق لجامعة ديوبند بالهند .

٢ - السكرتير العام : محمد حسن الاعظمي الامين العام لرابطة التأليف والترجمة وسكرتير الجمعية العربية العامة في الباكستان

٣ - السكرتير المساعد : انعام الله خان المحامي البورمي

٤ - امين الصندوق - عبد اللطيف ابراهيم رئيس التجار بكراتشي

اعضاء:

٥ - سعادة الاستاذ ابو بكر احمد حليم مدير جامعة السند

٦ - معالي تميز الدين خان رئيس المجلس التشريعي بالباكستان

٧ - صاحبة العفة السيدة فطينة أختر حرم معالي فضل الرحمن وزير المعارف العمومية بالباكستان

٨ - دولة شعيب القريشي رئيس وزراء بهوبال سابقاً

٩ - سعادة السردار اورنج زيب رئيس وزراء الحدود الشمالية سابقاً

١٠ - الاستاذ ظفر احمد الانصاري السكرتير المساعد للجامعة الاسلامية العامة بالهند سابقاً

وقد اتفقت الهيئتان المذكورتان على وضع دستور للمؤتمر على الوجه المبين فيما بعد .

دستور مؤتمر العالم الاسلامي (الدائم)

الشعار

إنما المؤمنون (قرآن كريم) .

مشعل الطريق

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (حديث) .

المبدأ العام

لا يتدخل المؤتمر في الشؤون السياسية الداخلية الخاصة بأي دولة من الدول الاعضاء ولكنه يتدخل في كل المسائل المتعلقة بمصالح المسلمين العامة داخل الدولة وكذلك في المحيط العالمي .

الأغراض

(١) محو جميع الفوارق المذهبية والقبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم

الاسلامي وجمعهم تحت راية الاخوة الاسلامية أسرة واحدة .

(٢) احكام الرابطة الاسلامية بين الجميع باتخاذ كتاب الله تعالى والسنة النبوية مصدرين للهداية والتوجيه .

(٣) توثيق العلاقات والروابط الثقافية بين المواطن الاسلامية كافة والعمل على رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي لشعوبها .

(٤) العمل على صيانة التراث الاسلامي ونشر آثاره وتدعيم الاخوة الاسلامية بتوحيد الثقافة وتنسيق الجهود في سبيل تحقيق ذلك .

(٥) العمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء وقادة ومفكري الشعوب الاسلامية من مختلف المذاهب والمشارب .

(٦) إيجاد وحدة فكرية وعملية بين مسلمي العالم بما يحقق للجميع حياة صحيحة تقوم على قواعد ثابتة .

(٧) توجيه المرأة المسلمة نحو التربية والتعاليم الاسلامية الصحيحة وتمكينها من ممارسة ما منحها الاسلام من حقوق ورعايتها وضمان تمتعها بهذه الحقوق .

(٨) على ضوء تعاليم القرآن والثقافة الاسلامية يشاد بالأعمال المجيدة التي قامت بها المرأة المسلمة والعمل على تحقيق مثلها العليا لتقوم بواجبها مجاهدة في ميدان التقدم والرقي .

(٩) اعداد المناهج الادبية المناسبة لتنبيه القوى الذهنية والمواهب العقلية لدى المرأة المسلمة .

(١٠) اتخاذ خط النسخ والعمل على نشره أساساً لتوحيد الكتابة بين مسلمي العالم بلغاتهم المختلفة .

(١١) العمل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الاسلامية عامة في جميع أنحاء العالم .

(١٢) تقديم العون المالي للطلبة المسلمين ذوي الكفاءة والاستحقاق وإيفاد البعوث لتعلم العلوم الاسلامية العالية بالجامعات الاسلامية وكذلك للتخصص في مختلف الفنون والصناعات لدى جامعات الدول الاجنبية .

(١٣) دعوة كبار الاساتذة لتعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية العالية من مختلف البلاد الاسلامية وتبادل البعوث العلمية بوجه عام .

(١٤) انشاء مراكز لتربية الطفولة في مختلف الشعوب الاسلامية وغرس التعاليم

والمبادىء الاسلامية الصحيحة في نفوس النشء منذ المرحلة الابتدائيـــة للتعلـــيم .

(١٥) تدارك ما يوجد في الجامعات والمدارس من نقص بادخال عناصر التعليم الاسلامي في جميع مناهجها الدراسية وإنشاء جامعة اسلامية نموذجية يتضمن نظامها الدراسي على مطالب الدين والدنيا مشبعة بالروح الاسلامية الكاملة .

(١٦) العمل على تأسيس شركات ووكالات لنشر الانبـاء الصحيحة عن الأمم الاسلامية وبين شعوبها وإيجاد تعارف اقتصادي واجتماعي وسياسي وصناعي والتوسط في إزالة ما قد ينشأ من سوء التفاهم بين بعض الشعوب الاسلامية .

(١٧) إيجـاد رابطة علمية بين مشاهير المصنفين والمؤلفين والمترجمين من ابناء الشعوب الاسلامية .

(١٨) نشر آراء المفكرين والزعماء في العالم الاسلامي .

(١٩) بث الروح والحيوية الاسلامية باذاعـــة التوجيهات الاسلامية الصحيحة وتعاليم القرآن وجميع عوامل الرقي والنهوض .

(٢٠) بعث تاريخ العلوم والفنون الاسلامية وتحقيق الكشوف العلمية ووسائل الرقي الذهني وتجديدها تنمية للقوى الفكرية عند المسلمين .

(٢١) إقامة مراكز التدريب العسكري والرياضي لخلق جيل اسلامي جديـد روحا وبدنا وقلبا وعقلا .

الوسائل

(١) انشاء معاهد مثالية النظم للتربية والتعليم الاسلامي .

(٢) انشاء معسكرات للتربية البدنية وبث روح الجندية .

(٣) إرسال الوفود لاحكام روابط الاخوة والعلاقـــات الودية بين الشعوب الاسلامية واستدعـــاء الوفود منها ، وتكريمها واستقبالها وتهيئة كافة السبل التي تمكنها من تأدية مهمتها .

(٤) إذاعة الرسائل والنشرات الدورية والكتب والمطبوعات باللغة العربيـة والأردية والانجليزية وغيرها تحمل للعالم مبادىء المؤتمر واغراضه .

(٥) استخدام الاذاعة في الممالك الاسلامية وابتكار طرق جديدة لتعليم الدين وتفسير القرآن الكريم ونشر اللغة العربية الفصحى .

(٦) القاء المحاضرات والخطب بـين مختلف الاوساط لنشر الاخلاق والآداب

الاسلامية وتوجيه محطات الاذاعة في البلاد الاسلامية نحو المساهمة بدورها في هذا الشأن والعمل على نشرها .

(٧) انشاء فروع في العواصم والمدن الكبرى بالاقطـار الاسلامية وتأليف اللجان تبعا لمقتضيات الاحوال .

(٨) عقد مؤتمر اسلامي سنوي يدعى للاشتراك فيه جميع ممثلي وزعماء الأقطار والدول الاسلامية كما يجب تغيير مكان انعقاد المؤتمر سنويا والدعاية له في مواسم الحج .

(٩) اعداد مكتبة تحوي نماذج من الادب والثقافة الاسلامية وكذا المجلات والجرائد المختلفة .

(١٠) يتولى المؤتمر جميع اموال الزكاة وصدقات الفطر للانفاق منها على الطلبة وتثقيفهم وإيفاد بعوثهم العلمية وتنظيم المساعدات للفقراء والمحتاجين .

(١١) تصنيف كتب اسلامية باللغة العربية وغيرها من اللغات وكذا ترجمة الكتب العلمية والادبية النافعة الى اللغات الاسلامية .

(١٢) يبذل المؤتمر جهدا متواصلا بواسطة الجماعات والهيئات الاسلامية والقائمين عليها لتيسير التمتع بالحقوق المدنية لكل من يثبت اسلامه في أي موطن من المواطن الاسلامية .

(١٣) يحاول المؤتمر اعفاء جميع المسلمين من شروط جوازات السفر وما يتبعها من قيود إذا كان الانتقال من بلد اسلامي لآخر اسلامي .

(١٤) للهيئة التنفيذية أن تتبع في تحقيق هذه الاغراض ما تراه من الوسائل الاخرى التي تقررها .

هذا وقد سعى المؤتمر بعد ذلك الى عقد فروع له في مختلف البلاد الاسلامية وفي مقدمتها مصر والعراق وسيلان وغيرها وارسل سكرتيره العام للطواف بالبلاد الاسلامية لنشر الفكرة وتأسيس الفروع .

المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الدولي

في اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ انعقـد اول مؤتمر اقتصادي اسلامي دولي في مدينة كراتشي عاصمة باكستان وكان الذين دعوا الى عقده رجال من الاقتصاديين ومن ارباب التجارة والصناعة في باكستان في مقدمتهم

السيد غلام محمد وزير مالية باكستان .

فلقد رأى الداعون الى المؤتمر ان التعاون بين البلاد الاسلامية والتفاهم بينها امر لا بد منه لا بالنسبة لحكوماتها فحسب وانما بالنسبة لشعوبها ايضاً ، ذلك لان الله قد انعم على البلاد الاسلامية بخير عميم فأغدق عليها الثروة وخصها بالغنى ، فأوجد فيها الانهار الجارية والغابات الشاسعة والبساتين الباسقة والثمار اليانعة والنباتات النافعة كالقمح والأرز والشاي والبن والقطن والجوت والتبغ والمطاط ، كما أوجد فيها مصادر معدنية لا ينضب لها معين كالنفط والكروم والذهب والفضة . وخلاصة القول ان الله سبحانه عز قد أنعم على البلاد الاسلامية بجميع النعم والخيرات التي تكفل للناس حياة هنيئة وعيشاً رغيداً .

فلماذا لا يتعاون المسلمون على استغلال هذه الموارد التي انعم بها الله واستثمارها بالصورة التي يعم معها الخير ويسود الرفاه بين جميع المسلمين بل البشر قاطبة ؟ أفلم يوصنا الله بالتعاون والاعتصام بحبله وعدم التفرقة ؟

والواقع أن الرغبة الى عقد هذا المؤتمر وان كانت قد بدرت بادىء ذي بدء في باكستان فانها بدت عامة شاملة من جانب جميع الدول الاسلامية فقد صادفت قبولاً عاماً ووفد المندوبون من أقاصي المغرب والمشرق تلبية للدعوة التي وجهها تجار باكستان وارباب الصناعة فيها ، وكان هؤلاء قد اقاموا لجاناً خاصة لتعد الاسباب والوسائل لعقد المؤتمر ، وكان على رأسهم التاجر الباكستاني الشهير السيد حسين ملك والسيد محمد علي رانكون والا (وهو من ارباب الصناعة والمال) والسيد عبد الخالق وغيرهم ، ولما حان موعد الاجتماع تقاطرت وفود المندوبين وبلغ مجموع البلدان التي اشتركت في المؤتمر احدى وعشرين وهي :

١ – مراكش	٢ – تونس	٣ – الجزائر
٤ – ليبيا	٥ – مصر	٦ – لبنان
٧ – سوريا	٨ – المملكة السعودية	٩ – العراق
١٠ – مسقط وعمان	١١ – تركيا	١٢– ايران
١٣ – افغانستان	١٤ – باكستان	١٥– كشمير الحرة
١٦ – سيلان	١٧ – جزر ملديف	١٨– سنغافورة
١٩ – اندونيسيا	٢٠ – شرق افريقيا	٢١ - جنوب افريقيا (الترنسفال)

الوفد المصري

تألف الوفد المصري كما تألفت الوفود الاخرى من هيئتين : هيئة رسمية ترأسها معالي محمد علي علوبه باشا سفير مصر في باكستان واقتصرت مهمتها على الاشراف والمراقبة . وكان اعضاؤها السيد الحسيني بك الخطيب مستشار السفارة المصرية في باكستان وزهير بك الشبيني السكرتير الثالث بالسفارة ، أما الهيئة الغير الرسمية فقد ترأسها الدكتور زكي بك سعد الاقتصادي المصري المشهور وكان بين اعضائها المرحوم شفيق بك الخطيب والأساتذة يحيى طه واسماعيل نظيف ومحمد حسن خان .

الوفد السعودي

الرسميون	المراقبون
الشيخ محمد عبد الله رضا ، رئيس	السيد عبد الحميد الخطيب ، رئيس
« « محمد صادق المجددي عضو	الشيخ فيصل المبارك عضو
الشيخ محمد بوقرى « «	الشيخ محمد صالح قزاز « «
« « عبد الله بن زقر « «	« « احمد لاري « «
« « صلاح الدين عبد الجواد « «	« « محمد بن ضاوي « «
« « ابراهيم يوسف زينل « «	« « صالح اسلام « «
السيد سامي كتبي سكرتير	السيد حسن شطا سكرتير

الوفد العراقي

السيد عبد القادر الجيلاني القـــائم بأعمال المفوضية الملكية العراقية في باكستان (رقيب) السيد كامل الخضيري (رئيس) ، الحاج محمد العقيل ، السيد عبد العزيز البغدادي ، المحامي انور الجوهر (رئيس غرفة تجارة الحلة) ، ابراهيم البجاري ، السيد صادق الشيخ جواد ، ابراهيم المطيري ، السيد عبد السلام رمضان ، السيد باقر الحسني (ممثل الحكومة) ، السيد جودت سامي سليمان (سكرتير) .

وفد سوريا ولبنان

فائز الدلاتي

الوفد المسقطي

الحاج علي عبد اللطيف (رئيس) ، السيد ابراهيم محمود عباس ، السيد عبد

الرضى سلطان والسيد جعفر باقر .

وفد الجزائر

السيد علي الحمامي

وفد تونس

الدكتور الحبيب ثامر

وفد مراكش

محمد بن عبود

افتتاح المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الدولي

افتتح المؤتمر في اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ بتلاوة آي الذكر الحكيم ثم اعتلى السيد لياقت خان منصة الخطابة ورفع علم المؤتمر (وهو العلم الذي اتخذه المؤتمر شعاراً له والذي يضم بين طياته بعض آي الذكر الحكيم مطرزة على نسيج من حرير اصفر اللون) ، ثم القى فخامته خطابا رحب فيه بوفود البلدان الاسلامية ثم أعقبه السيد غلام محمد وزير مالية باكستان والقى خطابا مسهبا دام نحو ساعة ونصف وتضمن تحليلا رائعاً للاوضاع الاقتصادية في البلدان الاسلامية على الخصوص وبلاد العالم على العموم . ثم تلاه السيد حسين ملك رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي وأحد منظمي المؤتمر فألقى خطاباً بين فيه أغراض المؤتمر واهدافه .

وفيما يلي بعض فقرات من الخطابين اللذين القاهما السيد لياقت علي خان والسيد غلام محمد : —

خطاب السيد لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان
في حفلة افتتاح المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الدولي

وانني لاعتقد اعتقادا راسخا بأن الاسلام وحده هو الذي يستطيع حل المشاكل التي تجابه العالم اليوم ، لأن الاسلام ليس الدين الذي يتناول ناحية واحدة من حياة الانسان وانما هو منهاج حياة الانسان ، فالاسلام لا يقسم حياة الانسان الى قسمين : قسم لله وقسم لقيصر . فهو يشمل جميع نواحي حياة اتباعه فرادى وجماعات ويقضي بمساواة البشر وبالاخوة وبتوزيع الثروة توزيعاً عادلا ويمنع الحروب

بين المسلمين ، وهو الى هذا يدعو الى الخضوع التام لمشيئة الله سبحانه عزوجل ، ثم هو باعتبار المعايير العصرية يرمي الى إقامة المجتمع على أساس المساواة والاخوة والحرية والعدالة ، مجتمع لا تهمل فيه حاجات المرء الروحية ولا تضحي في مقابلة حاجاته المادية ، وهذا هو السبب الذي يدعوني الى القول بأن ليس ثمة نظام آخر من الممكن بواسطته حل تلكم المشاكل التي تجابه البشرية اليوم والتي تهددها بخطر الفناء التام .

خطاب السيد غلام محمد وزير مالية باكستان

إن الاسلام على حقيقته دين تقدمي عقلي يتطور مع الزمن وهو بالنسبة لهذا العالم لا يبشر إلا بالعدالة الاجتماعية او كما عرفه المشرعون وعلماء الفقه المسلمون بقولهم ان جوهر كل قانون هو ان يعطى الكل ذي حق حقه . ولكن الاسلام لم يترك هذه الناحية على عموميتها تلك لأنها مع انتفاء التفسير او التخصيص لا تعدو كونها كلمة جوفاء لا تفيد . والآن ارجو ان تدعوني افسر مبدأ الاسلام السياسي - الاقتصادي كما بشر به واتبعه النبي (صلى الله عليه وسلم) وكما نفذه خلفاؤه ما دام الاسلام قوة حية ومبدأ منيراً :

اولاً : ان العدالة الاقتصادية هي حجر الرحى الذي تدور حوله العدالة الاجتماعية كلها وهو الاساس الوحيد لها ، وهي اساس ضروري لاي تقدم روحي يمكن لاي انسان ان يحرزه .

ولقد جاء ان من تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم ان على كل شخص ان يقضي على الفقر وان من واجب الدولة ان تؤمن ضرورات الحياة لجميع الناس ومن الذي يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتطلع الى وجود تلك الدولة الاسلامية التي يسير الانسان في ارجائها عارضاً مال الزكاة على الناس دون ان يجد من يقبل ذلك المال منه .

ثانياً : لقد انشأ الاسلام جمهورية ديمقراطية على ان تكون من الدول التي تسعى لصالح الفرد . وكان الواجب الرئيسي الاول لهذه الدولة هو ان تحقق العدالة والرفاه بين الافراد . وعند تطبيق مبادىء العدالة يعتبر جميع الرعايا سواسية أمام القانون وتمحى هنالك جميع الامتيازات والفروق .

ثالثاً : لقد قضى الاسلام على الاقطاعيات عندما الغى نظام الوراثة للابن الاكبر حيث كانت الاراضي تبقى سالمة بيد اكبر ابناء الملك . كل ذلك لان

الدولة الاسلامية الحقيقية لا يمكن ان تعترف بنظام الاقطاع .

رابعاً : ان على الدولة الاسلامية ان تفرق بين الدخل المكتسب والدخل غير المكتسب . فللمسلمين ان يؤلفوا الشركات ولكن مبادىء الاسلام تحتم ان يكون ذلك بحيث يستخدم المال لاغراض نافعة مثمرة وان تكون الخسارة كالربح مشتركة بين المساهمين . ان الاسلام لا يوافق على معاملة نقدية اذا كان احد اطرافها وحده هو الذي يتحمل مغبة الخسارة . وقد لا يعلم الكثيرون منكم ان المسلمين بدأوا اعمال التأمين البحري قبل ان يعرفه الاوروبيون بقرون عديدة ولقد كان آنذاك يدار حسب تعاليم الاسلام ومبادئه .

خامساً : والمصارف موضوع آخر نستطيع ان ندرس فيه مبدأنا الخاص بدل الاعتماد على الطرق الغربية اذ يمكن ادخال التغييرات الضرورية بعد القيام بالمحاولات المنظمة لذلك . واني لاعتقد بأن تطبيق مبدئنا على مسألة المصارف موضوع حيوي تجب دراسته بروية من قبل لجنة خاصة .

سادساً : وهناك مبدأ أساسي آخر من مبادىء الاسلام الاقتصادية ذلك هو اتخاذ الاجراءات التي تمنع تجمع الثروة بيد اشخاص معدودين ، اذ كان الغرض من منع الربا منع مثل هذا التجمع المنافي للقواعد الاجتماعية . كذلك كانت قوانين الوراثة الاسلامية خطوة ثانية في هذا السبيل ، اذ ان الثروة الوطنية يجب ان تتفرق بين الامة بأوسع ما يمكن من التفرق وان يتداولها ابناؤها بصورة عامة فتكون كالدم يجري في عروق الكيان الاقتصادي .

سابعاً : اما عن حقوق الملكية الخاصة ، فان الاسلام يعترف بهذه الحقوق ويقرها ولكن على ان تكون الملكية قد اكتسبت بطرق مشروعة كما انه يستنكر البذخ في الانفاق اشد الاستنكار ، ولقد ذكرت آنفاً ، ان الفقهاء المسلمين يعتقدون بأن للدولة السلطة في ان تمنع ذلك البذخ في الانفاق على الحياة المرفهة عندما يكون ذلك بشكل تبذير لا يتمشى وقواعد المجتمع .

(ثامناً) : لقد كانت الدولة في أوائل ايام الخلافة ، وبعد ذلك ايضاً ، تنفق وتتعهد بالقيام بجميع الاعمال ذات المصلحة العامة كما كان بيت المال هو الموكول بسد نفقاتها . فتبعاً لهذا المبدأ وتوسيعاً له لكي يشمل الصناعات الحيوية الرئيسية الضرورية لحياة الامة يجب القول ان تلك الصناعات يجب ان تؤمم وتؤخذ ادارتها من ايدي الافراد الذين يسعون وراء الربح متى سمحت لهم الظروف بذلك .

تاسعاً : ليس في الاسلام ما يمنع الاخذ بمبدأ الزراعة التعاونيـة اذا ما اقتنع بانه يؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي ولكن حقوق الزراع الشرعيـــة يجب ان تصان وتحفظ بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى .

عاشراً : لما كان الاسلام لا يريد الحد من نشاط الفرد وعمله فانه يدع له مجالاً واسعاً لكي تتقدم شخصيته ، فلقد اعترف الاسلام بحقوق الملكية الفردية ولكن ضمن حدود معروفة مرسومة ، اذ ان الدولة لا يمكن ان تسيطر على جميع مجالي الحياة الفردية كما انها لا تستطيع ان تترك الفرد حراً دون ما سيطرة او تسيير لشؤونه ، اي ان نظرية دعه يعمل (ليسيه فير) التي كان الاقتصاديون القـــدماء يقولون بها لا محل لها في الاسلام فالحرية حرية مسيطر عليها والغـاية الرئيسية هي الصالح العام ، ولا يسمح لأي فرد ان يستخدم تلك الحرية بحيث يسيء الى شخصه ويبث السموم في المجتمع بصورة عامة .

دستور المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الدولي

فيما يلي نص الدستور الذي اقرته الهيئة الاقتصادية للعالم الاسلامي :

١ ـ ستعرف الجمعية بالهيئة الاقتصادية للعالم الاسلامي .

٢ ـ ستكون مدينة كراتشي المقر العام للهيئة ريثما يقرر المجلس الأعلى خلاف ذلك .

٣ ـ ان هم هذه الهيئة هو تقوية التقدم الاقتصادي وانعاشه في البلاد الاسلامية حتى يتسنى لهذه البلاد رفع مستوى المعيشة فيها ومضاعفة الرفاه القومي والخـــير العام ، وتقوية التعاون وتنسيق الخطط في جميع المسائل الاقتصادية فيما بينها .

٤ ـ وسعياً من الهيئة في تحقيق هذه الأهداف فقد قررت فيما قررته ، اتخاذ الوسائل الآتية :

(أ) جمع ونشر المعلومات الاقتصادية عن البلاد الاسلامية وشعوبها .

(ب) بحث مشاكلها الاقتصادية واستقصائها ونشر دراسات عنها .

(ج) وضع تصاميم للمشاريع العمرانية والتعاون على الحصول على الايدي الفنية والمشورات الاختبارية والتعاون على تنفيذها .

(د) عقد مؤتمر سنوي واقامة معارض دورية ودائمة .

(ه) إنشاء هيئة اتصال بين هذه الهيئة ومثيلاتها في البلدان الأخرى .

٥ ـ (أ) لكل بلد اسلامي توجد فيه منظمة لها من الأهداف والمرامي ما لهذه

الهيئة ان ينضم عن طريق تلك المنظمة الى الهيئة كعضو عادي .

(ب) يحق للمسلمين القاطنين في بلد غير اسلامي، لهم فيه جمعية تشبه هذه الهيئة من حيث الأهداف ويكونون فيها وحدة اقتصادية هامة، ان يطلبوا عن طريق جمعيتهم الانضمام الى هذه الهيئة كعضو مشترك .

(ج) لا يجوز لأي بلد او جماعة ان تكون له او لها اكثر من جمعية واحدة كهذه الجمعية وذلك بالنسبة للفقرتين (الف) و (باء) من هذه المادة .

٦ – سيكون للهيئة مجلس عام يضطلع بأعمالها .

٧ – سيتألف هذا المجلس العام من ممثل واحد في حالة الأعضاء العاديين ومن عضو واحد ايضاً في حالة الاعضاء المشتركين على ان يتم اختيارهم باجماع الاعضاء في كل عام .

٨ – سيمنح المجلس العام سلطة تخوله حق جمع المال اللازم لأغراض هذه الهيئة بالطريقة المناسبة التي يرتأيها وستعتبر كل جمعية من هذه الجمعيات مكلفة بالمساهمة الى صندوق الهيئة وفقاً لقرار المجلس العام .

٩ – تسهيلاً لمجرى اعمال اللجنة سيسن المجلس العام قوانين تتفق وروح دستور المؤتمر لتكون مصدراً تستمد منه اللجان التي قد يدعى المجلس العام الى تأليفها بين الحين والحين ، ولتعيين الرؤساء الفخريين وغير الفخريين وتعريف السلطات المخولة لهم والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم ، ولتعيين مرتباتهم ان كانت لهم مرتبات .

تفسير

ان كلمة « بلد اسلامي » الواردة في هذه المواد تعني كل بلد اسلامي يؤلف المسلمون فيه اغلبية السكان او له ثقافة اسلامية او ارتباطات اخرى بالبلدان الاسلامية .

يجوز للمجلس العام حذف اي من هذه المواد او تغييرها او الاضافة اليها بمقتضى قرار يصدر باغلبية من المجلس لا يقل تعدادها عن ثلاثة ارباعه .

التصريح الذي اصدره المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الدولي
في اجتماعه الأخير الذي عقد بمدينة كراتشي في اليوم الخامس من شهر ديسمبر عام ١٩٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم !

نحن مندوبو البلدان الاسلامية الذين اجتمعنا هنا بمدينة كراتشي لعقد اول مؤتمر

اسلامي دولي قد توطدت اواصرنا بالمباحثات الودية التي قمنا بها ونحن مؤمنون باننا متحدون فيما نصبو اليه من مثل مشتركة لما لنا من تراث اسلامي مجيد ، وهو التراث الذي يسمو بمقام الانسان وذلك لأنه يستمد وحيه من مبادىء العدالة والتسامح والأخوة ، وهو يهدي السبيل الى الرقي والتقدم والى توطيد الروابط الاجتماعية لكي يحيى الفرد العادي حياة سعيدة راضية شريفة .

١ ـ اننا لنقطع العهد بان نسعى لتوطيد التعاون والأمن بين الأمم .

٢ ـ اننا ندعو في المجال الاقتصادي الى الأخذ بنظام يكون بموجبه الرفاه والتقدم مضموناً للناس اجمعين . واننا نعتبر المناطق المتأخرة التي لم تستغل مواردها بعد بمثابة قوة متحدية للضمير العالمي المثقف . لذلك نوصي بتطبيق التعاون الاقتصادي والتبادل العلمي وتوسيع آفاق التجارة بين الدول الاسلامية المتآخية جمعاء .

٣ ـ ان مبدأنا الاساسي القاضي بتعميم ونشر التعاليم الاسلامية والذي تقوم عليه سياستنا الاجتماعية هو العمل لمصلحة الانسان ورفاهيته وكرامته حتى تتسنى لكل فرد من الافراد الفرصة التامة لاستغلال مواهبه وتنميتها .

٤ ـ يجب ان توجه جميع معاهدنا العلمية والثقافية الى صالح الخير العام والمصلحة المشتركة وعلى هذا نتعهد بان تكون حكومة الجميع هي حق الجميع ومصلحة الجميع وواجب الجميع .

٥ ـ اننا نؤمن بان الأمن والضمان الاجتماعي والادارة النزيهة امور ضرورية للتقدم الاقتصادي .

٦ ـ اننا نقر الملكية الخاصة على ان تكون خاضعة للعدل الاجتماعي والخير العام .

٧ ـ اننا نعلق اهمية كبرى على تحسين الزراعة وادخال الاساليب الزراعية الحديثة اليها لكي يتسنى بذلك رفع مستوى معيشة الفرد . واننا نؤمن ايضاً انه اذا أريد التقدم الزراعي والرفاه الاقتصادي ، فلا بد من تحرير الفلاح من جميع قيود الاساليب الاقطاعية التي تعرقل التقدم الزراعي وتعوق سيره . ولاستغلال ثروة الارض يجب ان تحل النظم العلمية والفنية محل الأساليب الزراعية البالية الباهظة .

٨ ـ اما من الوجهة الصناعية فاننا نقر بما للمشاريع الحرة الخاصة من اهمية في المجتمع على شرط ان لا تتعارض مع مصلحة الشعب والعدالة العامة .

ولما كانت رفاهية شعوبنا وتقدمها مما يتوقف على تصنيع البلاد تصنيعاً سريعاً فيجب توجيه جهود خاصة لتحقيق هذه الغـايـة وانه ليبدو من الضرورة بمكان ان يعنى أشد العناية بطريق تمويل المشاريع الصناعيـة ووضعها على اسس فنية صحيحة .

٩ ـ اننـا نتعهد بحماية العمال ضد الاضطهاد والاستغلال ولتحقيق ذلك نوصي باتخاذ التدابير اللازمة لصيانة حقوقهم المعترف بها دولياً وان تكفل لهم حياة مدنية كريمة وان تنمى كفاءاتهم .

١٠ ـ اننا نهدف الى رفع مستوى الفرد . ولما كان التعليم هو الطريق الوحيد لتحقيق هذا الغرض وجب علينا ان نبذل قصارانا لجعله في متناول كل فرد رجلا كان او امرأة . كما اننا نعلق اهمية عظمى على الثقافة العلمية والفنية لـكي تنال بلادنا تقدمهـا الاقتصادي في مدى قصير . وبذلك يتحتم علينا تدريب رجالنا في كافة المواضيع العلمية والفنية الحديثة .

١١ ـ اننا نعتقد بانه لـكي يخطو الفرد نحو التقـدم والرفاه يجب ان يتوفر له مستوى عال من الصحة . وهذا مما يحتم علينا صيانة النواحي الصحية وذلك بتوسيع مجهوداتنا ومواردنا الحاضرة .

ان لنا أغنى وأسمى تراث ثقافي عرفه تاريخ البشر ، وان ماضينا المجيد يتطلب منا الاحتفاظ به وادخاره للمستقبل . وانه لزام علينا ان نبذل كل ما في وسعنا للنهوض بثقافات شعوبنا حتى يغدقوا على العالم من جديد بفيض من أسمى مثـل العلوم والمعارف والمحاسن والفضائل .

ان لنا نظاماً خاصاً للحياة هو في الواقع مصدر فخر عظيم لنا ولكننا لا نريد فرضه على غيرنا كما لا نريد غيرنا فرض نظامه علينا .

اننا من دعاة السلام والحرية والتقدم الانساني واننا مصممون على الاحتفـاظ بهذه المثل لانفسنا واننا لنتمناها لبقية العالم .

تواقيع رؤساء الوفود الى المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الدولي

الرابطة الاسلامية في الهند والباكستان

كانت سنة ١٨٥٧ سنة فاصلة في تاريخ مسلمي الهند فقد ثاروا ضد الانجليز عندما عرفوا انهم يريدون إقامة حكومة إنجليزية في الهند وكان الانجليز يفضلون الهنادك على المسلمين في كل شيء ويولونهم الوظائف الكبيرة والمناصب المهمة .

لذلك قام السير سيد احمد ونادى بوجوب تعلم المسلمين اللغة الانجليزية ولقي معارضة شديدة إذ نادى المسلمون بتحريم تعلمها حتى ساووا بين من يتعلمها وبين يأكل لحم الخنزير ، ولكن هذا لم يثن السير سيد احمد عن دعوته حتى استجاب له البعض وتعلموا الانجليزية وتسنى لهم أن يشغلوا بعض الوظائف ولكن الهنادك كانوا قد سبقوهم إلى الوظائف الكبرى حتى كانت الحكومة هندوكية في كل شيء، وناصية الأمور في قبضة يدهم فعاودهم حب الانتقام من المسلمين الذين حكموهم الف سنة ووقع المسلمون بين شقي الرحى فهم العدو المشترك للهنادك والانجليز.

سعى الهنادك إلى ان تكون الانتخابات عامة لا طائفية ليستفيدوا من اكثريتهم وبذلك يصبح المسلمون أقلية لا يمثلون ولا يسمع لهم صوت كما سعوا إلى تغيير اللغة الأردية [1] وإحلال اللغة الهندية القديمة محلها وذلك لان اللغة الاردية مظهر من مظاهر الثقافة الاسلامية . تنبه المسلمون الى كل ما كان يسعى اليه الهنادك فقام نواب وقار الملك بتأسيس جمعية سياسية سنة ١٩٠١ بمدينة لكهنؤ ولكن حاربها الهنادك ولم تستطع أن تتقدم وكان غرضها الوقوف امام الهنادك والتقدم بالمسلمين الى الامام .

في سنة ١٩٠٥ أعلن لورد كرزن الحاكم العام الانجليزي بتقسيم مقاطعة البنغال وجعلها مقاطعتين مقاطعة للمسلمين وأخرى للهنادك ، ولكن زعماء المؤتمر الهندي قاموا وقعدوا لان ذلك في صالح المسلمين ، واضطرت الحكومة الى ان تعلن في سنة ١٩١١ الغاء هذا التقسيم فشعر المسلمون بالظلم الذي نزل بهم وبالغبن الذي لحقهم وبالضربة القاسية التي وجهها الهنادك اليهم وشعروا بانهم مضطهدون مما دفع نواب سليم الله خان نواب دهاكا وهو اكبر زعيم مسلم في مقاطعة البنغال الى ان يجمع كبار زعماء الهند المسلمين ، منهم سير علي محمد خان ومولانا المرحوم محمد علي والنواب وقار الملك واتفقوا جميعاً على تشكيل رابطة اسلامية في سنة ١٩٠٦ او هي بدء تاريخ جديد في حياة المسلمين بعد زوال الحكم الاسلامي في الهند .

لم تقف الرابطة امام إلغاء التقسيم مكتوفة اليد بل قامت واحتجت وكتب زعماؤها يندّدون بموقف الحكومة البريطانية ووصفوها بالجبن ، وقد شعرت الحكومة بما أصاب المسلمين من إجحاف فأرادت أن تعوضهم فأنشأت لهم جامعة في دهاكا وهي جامعة كبرى ، وكان من جراء ذلك أن قام زعماء المؤتمر بالاحتجاج على إنشاء

---

(١) مادة أردو في دائرة المعارف الاسلامية .

هذه الجامعة للمسلمين وكان لموقفهم أثر كبير في نفس القائد الأعظم محمد علي جناح فنجده يشترك في الرابطة الاسلامية في سنة ١٩١٣ أي بعد تأسيسها بسبع سنوات وقد بقي مشتركاً بالمؤتمر حتى سنة ١٩٢١ يحاول أن يقرب بينهما فاذا ما اعتلى منصة الخطابة في المؤتمر كان يمدح الرابطة وزعماءها واذا مـا وقف خطيباً في الرابطة كان المؤتمر وزعماؤه موضع ثنائه ومدحه ، ولم يدخر جهداً في التقريب بينهما ففي سنة ١٩١٥ أعلن الانجليز أنهم سيقومون ببعض الاصلاحات وكان المؤتمر قد عقد اجتماعه السنوي في بمباي وعقدت الرابطة اجتماعها في بمباي أيضاً ورأى جناح أن يتقدم الجميع بمطالبهم وكان الهنادك يطلبون الاستقلال الداخلي ، وقـد اشترك في اجتماع الرابطة الاسلامية بعض كبار زعماء الهنادك وذلك ابتغاء فكرة الاتحاد وكان كثير من المسلمين مخالفين لهذا الاتحاد حتى صاح بعض القادة بأن هذه هي حفلة الرابطه الاسلامية واعترضوا على حضور بعض زعماء الهنادك إلا أن جناحا قـام وأقنعهم بضرورة الاتحاد وبأن يتقدم الجميع الى الحكومة بمشروع مشترك واتفق الجميع على هذا وشكلوا مجلساً من قادة المسلمين واعضاؤه راجامحمود آباد ، سير رضا علي ، صاحب زاده آفتاب أحمد خان ، سير وزير حسن ، سير محمد شفيع ، سير بركت علي ، سير فضل حسين ، مولانا ظفر علي خان ، سير فضل الحق ، مولوي أبو الكلام آزاد ، سير آغا خان ، سير ابراهيم رحمة الله ، يعقوب حسن ، سير عـلي إمام ، السيد مظهر الحق ، دكتور سيد محمود ، دكتور أنصاري حكيم ، أجمل خان ، مولانا محمد علي والسيد محمد علي جناح .

هذه كانت محاولة جميلة من جناح للتقريب بين المسلمين والهنادك وبدأت كل جماعة تعتمد على الأخرى حتى أقيمت اجتماعات مختلفة كان لها أثر طيب ، وأقيمت حفـلة سنوية للرابطة الاسلاميـة تحت رئاسة جناح يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٦ في مدينة لكهنؤ وفي هذا المؤتمر قبل مشروع له ، ثم أقيمت حفلة المؤتمر الهندي في نفس المدينة يوم ٢٦ ديسمبر من نفس السنة تحت رئاسة «امبكاجرن مزمدار» وقد صدق في هذا الاجتماع على مشروع الرابطة الاسلامية .

واستمرت الرابطة الاسلامية تجاهد بمفردها من اجل مسلمي الهند بقيادة جناح حتى قامت الباكستان وبقيامها لم تنته مهمة الرابطة حيث دعا المغفور له القائد الاعظم الى قيام وحدة بين البلاد الاسلامية . ولما انتقل الى جوار ربه حمل لواء الدعوة من بعده السيد خليق الزمان الذي طاف بانحاء البلاد الاسلامية للدعـوة

هذه الفكرة وكذلك فخامة السيد لياقت علي خان الذي يحرص في كل وقت على زيادة التفاهم بين البلاد الاسلامية وقيام تعاون صادق فيما بينها .

وفي الناحية الاقتصادية دعا ماليو الباكستان الى قيام وحدة اقتصادية بين البلاد الاسلامية وقد اوردنا في هذا الكتاب جزءاً من كلمة معالي السيد غلام محمد وزير مالية الباكستان عن هذه الوحدة الاقتصادية .

جمعية الخلافة

قامت الحرب العالمية الأولى وكان الأتراك فيها بجانب الألمان ضد الانجليز وحلفائهم وخشي الانجليز أن يقوم مسلمو الهند بثورة من أجل الأتراك فوعدوا بأنهم لن يأخذوا شيئاً من ممتلكاتهم ولكن في سنة ١٩١٨ بعد أن وضعت الحرب أوزارها وضعت بريطانيا شروطاً قاسية أغضبت مسلمي الهند ، ولكن الحاكم العام الانجليزي في ذلك الوقت قال إنه يجب أن يتحمل المسلمون هذه الشروط . لما سمع المسلمون تصريح هذا الحاكم أقاموا الاجتماعات وخرج الشباب لمحاربة الانجليز ولكنهم كانوا في احتياج إلى قائد ينظم صفوفهم فرأوا في غاندي بغيتهم المنشودة فقد رجع من جنوب أفريقيا ناجحاً وقاد الشعب في ثورته ضد قانون العقوبات ورأوه متسامحاً غير متعصب واسع القلب وكان للمسلمين في تلك الأيام زعيمان هما الشقيقان محمد علي وشوكت علي وهما زعيمان لحركة الخلافة ورأيا أنه لا بد من النجاح في هذه الحركة ولو تحت زعامة غاندي . قبل غاندي قيادة هذه الحركة وكان هو نفسه ينتظر هذه الفرصة فاتحد المسلمون والهنادك ليحاربوا الانجليز وأعلن المسلمون أنهم يريدون حربا مقدسة وأنهم يريدون مساعدة الأتراك وكان المرء يسمع منهم في كل اجتماعاتهم عبارات تدل على مبلغ رغبتهم في محاربة الانجليز فكانوا يقولون اننا ضعفاء غير مسلحين ورغم هذا سنجمع شملنا وسنحارب عدونا ، وان لم نستطع قتله فسنقتل دون ان نترك الميدان ، وان لم يكن لنا اسلحة فنستطيع ان نقطع رؤوسنا بسيوفه ، وان لم يكن معنا اسلحة تشق صدور اعدائنا ففي استطاعتنا ان نقدم صدورنا ليشقوها بسيوفهم ، وكانوا يتمثلون بهذا البيت :

الموت استراحة من الحياة   نود أن نتقدم بعد استراحة قصيرة

غدا الهنود لا يفكرون إلا في يومهم والتهبت الصدور وغلت الدماء في العروق واجتاحت الهند عاصفة قوية وثورة جامحة ، ودخل الناس في عهد جديد وظهر زعماء كانوا مغمورين وخرج من قلوب الشعب الخوف من الانجليز واستهانوا بالرصاص

فعرضوا له صدورهم وبالعصي عرضوا لها اجسادهم بـــل وبالموت فأسلموا أعناقهم للمشانق . امتلأ الشباب قوة وتركت هذه الحوادث الاغنياء فقراء وسلبت البيوت من السكان وأخرجت الموظفين والقضاة والرؤساء من اعمالهم وأدمجتهم في الشعب ودفعتهم الى امواج الثورة وأغلقت المدارس والكليات والجامعات وطاف الشقيقان [1] محمد علي وشوكت علي ارجاء الهند وخطبا ضد الانجليز وكانا يزأران كالأسود الضارية فخضعت امامها الجبال .

التقريب بين المذاهب الاسلامية

لما كانت الخلافات القائمة بين اتباع المذاهب الاسلامية ليس لها مبرر سواء من ناحية المذاهب نفسها أم من الناحية العامة لأن الاساس الذي تعتمد عليه هـــذه المذاهب جميعا واحد وان كانت هناك خلافات فهي خلافات فرعية لا تؤدي الى مثل هذا الجفاء الذي اوجده الاستعمار والمغرضون من زعماء الفرق والمذاهب .

ولقد قام العالم الايراني الكبير سماحة السيد محمد تقي قمي بحركة يدعو فيها الى التقريب بين المذاهب الاسلامية أو بالاحرى بين اتباع المذاهب وحضر الى مصر واتصل بعلمائها والمهتمين بالشئون الاسلامية فيها واسفرت هذه الاتصالات عن انشاء « جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية » كان من بين اعضائها اصحاب السعادة والعزة والفضيلة ، محمد على علوبة باشا وحلمي عيسى باشا والمرحوم الشيخ حسن البنا وسماحة مفتي فلسطين الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ محمد المدني واشترك فيها ممثلون عن المذاهب الاسلامية فمن شيعة اليمن (الزيدية) السيد علي المؤيد والقاضي العمري وعن شيعة الامامين السيد محمد تقي قمي وعن الاحناف الشيخ شلتوت وهكذا .. وشيوخ مذاهب الحنابلة والمالكية والشافعية .

واستمرت الجماعة في عملها واتخذت لها دارا في الزمالك بالقاهرة وأنشأت مجلة لها ومكتبة عامرة بصنوف الكتب عن المذاهب حتى يعرف كل رأي صاحبه بعيدا عن الاهواء والمنازعات . وتردد صدى الدعوة في انحـــاء العالم الاسلامي فانضم الى الجماعة اعضاء مراسلون من كبار العلماء والمفكرين في العالم الاسلامي ولها اتصالات وثيقة بهم كما ساهمت في السعي لحل الخلاف بين الدولتين الاسلاميتين الباكستان وافغانستان فقابل وفد منها جلالة الملك محمد ظاهر شاه عند قدومه مصر وقدموا

(١) يستريح أصغرهما في جامع عمر في بيت المقدس تحت ظل الأنبياء والرسل ، والثاني دفن بجوار الشهيد سرمد أمام جامع الامبراطور المغولي شاه جهان باني تاج محل .

له مذكرة يطلبون فيهـا تحكيم الاخوة الاسلامية في الخلاف الناشب بين الدولتين فاجابهم جلالته اجابة مطمئنة .

كما ساهمت الجماعة في كل ما من شأنه أن يزيد من روابط البلاد الاسلامية ويعاون على انهاء الخلافات .

واذا ما تحققت اهداف الجماعة في التقريب بين اصحاب المذاهب الاسلامية فان هذا ولا شك يعتبر خطوة كبرى نحو تحقيق الوحدة الاسلامية والتمكين للاخوة والسماحة بين المسلمين الذين فرقتهم الاهواء السياسية والشخصية .

ويرى القراء بعد هـذا البيان الذي أصدرته الجماعـة عقب تأسيسها الى العالم الاسلامي مبينة فيه أغراضها كما تقدم بعد هـذا كلمة لسماحة السيد محمد تقي قمي سكرتيرها العـام :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله . وآله وصحبه ومن والاه

أما بعد . فإن الدين الاسلامي دين واضح الأصول ، بيّن المعالم لا تعقيد فيه ولا غموض ولا حرج ولا إعنات . أنزله الله على رسوله وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ، وضلالة من الناس ، واختلاف بالهوى وتنازع وتطاحن بالقوى فهدى الناس في العقيدة الى كلمة سواء هي كلمة الله التي بعث بها كل رسول ، وأنزل بهـا كل كتاب ، وبين لهم شريعـة الحكمة والرحمـة والصلاح .

وأساس هـذا الدين هو القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بهما تقررت عقائده وأصوله ، ومنهما استنبطت قواعده واحكامه ، واليهما يرجع المسلمون في كل شأن من شئون دينهم ودنياهم .

تلقى المسلمون الأولون هذا الدين كما أنزله الله ، والتفوا حوله يعتقدون عقيدته، ويدرسون شريعته ، ويمضون على سنته وطريقته ، فما كان من نص ظاهر واضح في دلالته ، قاطع في معناه ، اجتمعوا عليه ، ونزلوا على حكمه متوافقين . وما كان محل نظر وتأمل أعملوا فيه عقولهم واجتهدوا فيه بقدر وسعهم في دائرة الاصول التشريعية ، والمقاصد التي أرشد اليها كتاب الله وسنة رسوله . فاذا شجر بينهم خلاف عالجوه بالحجة والاقناع ، ولم يتجاوزوا بـه دائرة العلم والبحث ولم يسمحوا له - مهما تباعدت وجهات النظر فيه - أن يقطع ما بينهم من الأواصر

أو يفسد ما أصلحه الله من القلوب ، بل كانوا يتبادلون الثقة والمحبة والاحترام ، وربما سأل بعضهم بعضاً عن دليله أو مدركه على ما يقول ، فإذا لقِنه واستراح إليه سارع الى إعلان قبوله والرضى عنه غير مستكبر على الحق ، ولا متعنت في الخطاب.

هكذا كان شأن الأمة الاسلامية في أولها ثم عدت عليها بعد ذلك عواد جعلتها تتفرق فرقاً وتنقسم طوائف وشيعاً وابتدأت هذه الانقسامات بأواخر عهد الراشدين ثم ما زالت السياسة والحرب الأهلية تغذيها وتنفخ في نارها حتى تمخضت البلاد الاسلامية عن فرق شتى ، وتشعبت كل فرقة الى شعب وكان هذا هو الأساس الأول لما عاناه وما يزال يعانيه المسلمون الى الآن ، من تفرق وتنازع وتقاطع وتدابر .

وقد كانت المساجد والمجامع والمجالس أندية رأي ونقاش وجدل ، ذهبوا فيها مع الحرية الفكرية والنشاط العقلي إلى مدى بعيد جعلهم يخوضون حتى فيما نهوا عن الخوض فيه من البحوث العقيمة ، والمسائل التي لا تتصل بها فوائد علمية ، وساعد على اتساع دائرة هذا الجدل امتزاج الثقافات المختلفة والعلوم الجديدة التي جاءتهم من الامم الأخرى حين دخل الناس في دين الله أفواجاً من كل جنس ولون حاملين معهم قضايا تفكيرهم وأساليب منطقهم وجدالهم .

ولم تقف الخلافات والآراء عند دائرة المعارف الفكرية الكلامية ، بل شملت الفقه والاحكام التشريعية المستنبطة ، غير انها لم تكن في هذه الناحية الاخيرة عنيفة ولا مشتطة ، وانما كانت تجري في هدوء وسكينة ووقار ، لا يسيطر عليها إلا العلم والحجة والبرهان ، وذلك في عهد الائمة المجتهدين ، ومن بعدهم من تلاميذهم الذين أشربوا مبادئهم ، وساروا على سننهم ، فلم نعرف ان احداً منهم رمى غيره بالخروج على الشريعة ، او المروق من الدين لخلاف بينه وبينه ، ولم نعرف احداً زعم لنفسه انه هو وحده صاحب الرأي المقدس في الشريعة ، او فكر في حمل الناس على ما يراه ، بل كلهم ورد عنه ما يدل على انه مجتهد قد اتى بما وسعه ان يأتي به ، ويحتمل ان يكون مصيباً وان يكون مخطئاً ، وان العمدة في ذلك كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وما ارتضاه المسلمون من قواعد الشريعة وأصولها العامة ، وها هو ذا مالك رضي الله عنه يصرف أبا جعفر المنصور عما همّ به من حمل الناس على « الموطأ » ذاكراً له ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في الامصار ، وعند كل منهم علم ، وليس من الرأي أن

يحمل الناس على كتاب ما إلا كتاب الله .

هكذا كانت ريح الفقه تجري رخاء ، ولذلك نما وزكا ، وأينعت ثمراته ، ودنت قطوفه ، ووفيّ أعظم التوفية بحاجات المسلمين أمة ودولة وأفراداً ، وحفظ به التاريخ أعظم تراث فكري في الاحكام التشريعية والمبادىء الاصلاحية التي تقوم عليهـا الامم .

ولذلك ايضاً استطاع الفقه الاسلامي ان يقف عالي الرأس عزيزاً كريمـاً فلم يغزه يومئذ فقه فارسي ولا فقه روماني ولا فقه يوناني ، على كثرة ما دخل بلاد المسلمين من علوم هذه الامم وثقافاتهم ، وعلى ما عهد في المسلمين من ترحيب بالنافع من هذه العلوم والثقافات ، وتلقيه بسماحة وحسن قبول .

ثم جاءت بعد ذلك طبقات من المقلدين والمتعصبين للمذاهب ، كلّت هممهم عن حمل ما كان يحمله سلفهم من العلم والنظر ، وصادف ذلك عهود الضعف السياسي وانقسام الامة الاسلامية الى دويلات صغيرة لا تربطها رابطة ، ولا تجمعها جامعة ، ومن شأن الضعف السياسي - إذا أصيبت به أمة - ان يخيل الى ابنائها أنهم أقل من سواهم قوة ، وعلماً ، وتفكيراً ، وان تركد معه ريح العلم ويفتر نشاط العلماء .

بهذا وبغيره تأثر اكثر المشتغلين بالفقه ؛ فحكموا على أنفسهم وعلى جميع أهل العلم في زمانهم بأنهم ليسوا أهلاً للنظر والاستنباط ، ولا لفهم كتاب الله وسنة رسوله ، ومن ثم حكموا بإغلاق باب الاجتهاد ، وترتب على ذلك ان وقف الفقه وجمد ، وأن تعصب كل منهم لرأي إمام وزعم أنه الحق ، وان ما سواه باطل ، وأسرفوا في ذلك إسرافاً بعيداً حتى كان منهم من لا يصلي وراء إمام يخالفه في مذهبه ومن لا يزوج ابنته لفلان ، أو يتردد في أكل ذبيحة فلان ، او في قبول قضاء فلان ، لمجرد أنه يخالفه في المذهب ، ثم حصروا الائمة الذين اوجبوا اتباعهم في عدد معين ، وهكذا ضاق أفق الاتباع والاشياع عما اتسع له أفق المتبوعين ، وضاقت بهم دائرة الفقه الاسلامي ، وركدت ريحه ، وصوّح نباته ، وقلت ثمراته ، وكان من آثار ذلك ان خرج كثير من البلاد الاسلامية عن هذا الفقه عامـة ، والتمسوا فقهاً آخر في هذه القوانين الوضعية يحكمون به ، ويجعلونه نظامهم في القضاء والتشريع والمعاملات . التمسوا فقهاً لم يتقيد بهذه القيود الطارئة ، ولم يحد بهذه الحدود المصنوعة ، ومن ثم رأينا القذى في العيون ، والشجى في الحلوق حين رأينا أمم الاسلام تحكم في بلادها بغير فقه الاسلام ومنهاج الاسلام .

ولكنا قد استطعنا في عهدنا الحاضر - ونرجو ان يكون ذلك أولى الخطا في سبيل العودة إلى مجدنا الفقهي التشريعي - استطعنا أن نتخلص الى حد بعيد من آثار هذه العصبيات التي تنكرها الشريعة ، ولا يعرفها الائمة المجتهدون أنفسهم وأن يسير بعضنا مع بعض على وفاق ، فلم نعد نسمع خلافاً يؤدي الى تضارب او تقاذف او تراشق بالتهم بين حنفي وشافعي مثلاً ، وهـاهوذا الازهر الشريف اكبر جامعة اسلامية يدرس فيه فقه المذاهب الاسلامية الاربعة ، ونرجو ألا يكون هناك من يمنع او ما يمنع من دراسة غيرها من مذاهب المسلمين اذا تهيـأت له اسباب هذه الدراسة ، وان كلية الشريعة لتدرس في العهـد الحاضر الى جانب الدراسات المذهبية دراسات فقهية مقارنة لا تتقيد فيها بالمذاهب الاربعة ، ومما يبشر بالخير ان الاساتذة والطلاب يتلقون هذه الدراسات المقارنة باقبال وشغف ، وبروح من السماحة ، ورفض العصبية المذهبية غير ناظرين الا الى الدليل ولا باحثين الا عن الحق .

إذن قد انتهت هذه المشكلة او كادت ، ولم يعد لها خطرها ، ولا ضررها ، ولعلنا نشهد في القريب العاجل ان شاء الله مذاهب اسلامية اخرى يدرس فقهها في الازهر كما يدرس فقه المذاهب الاربعة ، ويومئذ يحق لنا ان نستوفي جهات الفخر برجوع الفقـه الاسلامي الى مجده الاول يوم كانت الآراء المحتكة ، والحجج المتقابلة ، والادلة ، ووجهات النظر هي مادته وغذاؤه ، وعمدته في التنوير الفكري والوصول إلى الحق ، لا قول فلان ولا رأي فلان .

إننا لنستبشر خيراً بهذا ، وقد قارنه في نفس العهد إحساس المسلمين بأنه لا ينبغي أن يحكموا بغير شريعتهم ، وتلك هي الصيحات ترتفع عالية من كل جانب ينادي بها المشتغلون بالفقه الاسلامي والمشتغلون بغيره من رجال القانون والقضاء والتشريع أن عودوا إلى فقهكم فإنه عنوان مجدكم وعزكم . وقد أعترف بقيمة هذا الفقه وعظيم صلاحيته مؤتمر دولي عقد في مدينة لاهاي سنة ١٩٣٧ م . حضره ممثلون للأزهر الشريف والحكومة المصرية ، ومـا كان هذا كله - علم الله - إلا لأننا نبذنا التعصب فتجلى لنا ما في شريعتنا وفقهنا من روعة وجلال ، ومن قدرة على مسايرة أرقى أنواع الحضارات والمدنيات . هـذا هو تاريخ الخلاف في الفقه والتشريع . بدأ خلافاً علمياً مهذباً ، فكان بركة وفتحاً مبينا ، ثم تطور إلى عصبية مذهبية عمياء ، فكان جموداً وركوداً ، وكان سببا في انسلاخ كثير من الشعوب

سلامية من تشريعها ، ثم أخذ يعود إلى هدوئه والاسنته الأولى ، فاستروحنا منه روح النهضة والتجدد ، وابتدأنا نلتفت إليه ، ونستعذبه ، وننادي بأنه فكرتنا ومنهاجنا في الحياة .

هكذا كان شأن الفقه ، فماذا كان شأننا في غير هذه الدائرة ؟ ماذا كان شأننا في المعارف الفكرية والقضايا التي أثارها الخلاف الطائفي والكلامي ؟

لقد بكرت هذه الخلافات على المسلمين منذ أول الامر كما قلنا ، وكانت عنيفة حادة ، وكانت في نفس الوقت متلونة بألوان مختلفة تبعاً لما كان يمدها من السياسة والأهواء ، ولما كان يغذيها من الثقافات المختلفه ، وظلت هكذا تتزايد وتقوى وتتسع آفاقها ، ويتفاقم شرها ، حتى أصبح المسلمون فرقا شتى وطوائف مبعثرة ، بل أصبحت الأمة الواحدة متشعبة إلى فرق ، والفرقة الواحدة متشعبة إلى شعب ، وكلهم متقاطعون متدابرون ، ينظر بعضهم إلى بعض كأنهم أرباب أديان مختلفة ، فـــلا تعاون ولا تزاوج ولا تبادل للأفكار ، كل طائفة عاكفة على ما عندها ، متعصبة له ، نافرة مما سواه تعتقد أنها على الحق ، وأن سواها على الباطل ، وإذا تقاربت منها طائفتان أو أكثر في بلاد واحدة احتك بعضها ببعض وهاج بعضها على بعض ، وكثيراً ما أفضى ذلك إلى سفك الدماء ، وتخريب البيوت ، وعداوات الاسر والطوائف مما نشهده بأعيننا ، ونسمعه بآذاننا في الحين بعد الحين .

وساعد على ذلك المستعمرون الذين يهمهم أن تنقطع أسباب المودة ، وعوامل الائتلاف بين المسلمين ليسودوا عليهم في بلادهم ، وليكونوا هم قبلة المختلفين ، والحكم الاعلى بين المتنازعين . وهكذا طاوع المسلمون هذه الاساليب الاستعمارية الماكرة ، فزادوا من حدة الخلاف بينهم ، وتراموا بالكفر والفسوق والزندقــة والخروج على الدين ، وامثال تلك الاتهامات الطائشة التي أرثت بينهم العــداوة والبغضاء ، وزرعت في قلوبهم الحقد والضغينة وسوء الظن ، وبذلك ساعدوا على أنفسهم ، ومكنوا لأعدائهم من رقابهم واوصالهم .

حدث هذا كله ، وما زال يحدث ، مع ان هذه الخلافات عند كثير من طوائف المسلمين وفرقهم لا ترجع الى اصول الدين ، ولا تمس العقائـــد التي أوجب الله الايمان بها ، والتي يعد الخروج عنها خروجاً عن الدين . ومن الممكن – إذا وجدت هذه الفرق من يقرب بينها ، ويدرس أسباب خلافاتها – ان تعرض هذه الخلافات عرضاً هادئاً ، دون تأثيرات خارجية ولا تعصبية ، فيتبين الحق فيها ،

ويزول كثير من أسباب الجفوة والقطيعة بين أرباب الدين الواحد ، والنبي الواحد والكتاب الواحد .

من الممكن أن يتقارب المسلمون فيعلموا ان هناك فرقاً بين العقيدة التي يجب الايمان بها ، وبين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الآراء دون ان تمس العقيدة ، ويومئذ يهون الامر ، فنجمع على ما نجمع عليه ، واذا اختلفنا لم يكن خلافنا الا كما يختلف أهل المذاهب الفقهية دون خصام ولا اتهام ، ودون توجس واسترابة وسوء ظن ، مما يجعلنا متقاطعين في معاملاتنا ، ومصاهراتنا ، وثقافاتنا .

يومئذ يعود المسلمون كما كانوا أمة واحدة ، دينها الاسلام ، وكتابها القرآن ، ورسولها محمد عليه الصلاة والسلام ، تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتتقبل الكلام فيما وراء ذلك على انه آراء يدلي كل بما يراه منها ، دون أن تسيء الى وحدة المسلمين ، أو تكون عاملاً من عوامل فرقتهم وضعفهم .

كان هذا ممكناً وما زال ممكناً ، ولا سيما بعد ان اتسع نطاق العقول ، وانتشر لواء العلم خفاقا ، واحس المسلمون بضرر ما هم عليه من التفرق والتطاحن ، وبأن هذه الخلافات قد احتسبت خلافات متصلة بأصل الدين وأساس العقيدة ، واتخذت لذلك علامة عند أعداء الاسلام على أن هذا الدين لا يستطيع النهوض بأمة تريد ان تنهض وان تتخذ لها مكانة بين الامم .

لقد كان من نتائج هذا الاضطراب في الافكار والمعارف الدينية ، وتكفير كل طائفة للأخرى او اعتدادها بآرائها على أنها هي الحق وما سواها هو الباطل ، وان من خرج على هذه الآراء ، فقد خرج على شيء مقدس ومرق او تزندق او تطرف . كان من آثار ذلك مثل ما كان من آثار الركود الفقهي حين خرجت الامة الاسلامية عن فقهها الى ما سواه ، ذلك أن كثيراً من الشباب يخرجون على هذا التراث الفكري عامة ، ويجنبون انفسهم مشقاته واهواله ويبتعدون عن اخطاره ومزالقه ومغبة البحث فيه حذراً ان يضلوا في مجاهله ، او يصيبهم رشاش من التكفير او التفسيق ، فنراهم يتجاوزون هذه الثقافات الفكرية الاسلامية ، غير مميزين بين غثها وسمينها الى غذاء علمي آخر لأرواحهم وعقولهم في المعارف الفكرية الاجنبية ، يتلقفونها من علماء الغرب ومفكريه ومستشرقيه والمأخوذين به ، ويعتقدونها هي العلم الصحيح ، والغذاء المفيد ، والآراء الصالحة للحياة .

ولقد رأينا هذه النزعة الخطيرة تستولي على شبابنا وكثير من مفكرينا .

وتتغلغل في أعماق نفوسهم ، وتسيطر على أفكارهم وعقولهم ، وتعمل عملها دون أن يشعروا او تشعر الامة بما لها من إيحاءات خفية ، وضرر يسري كالسم الزعاف في أناة ومثابرة حتى يُهلك او يقارب ، ومن شأن هؤلاء أن يهون عليهم تاريخهم ، وتصغر في أعينهم ثقافتهم ، بلى ان يصبح دينهم غير عزيز عليهم ، ولا اثير لديهم وربما مقتوه ، وفروا منه ، وتباهوا بأنهم علوا عنه ، وارتفعوا بانفسهم عن مستواه .

هذه بعض أخطار التفرق الذي مني به المسلمون ، أضعفتهم وأطمعت فيهم أعداءهم ، بل سلطت عليهم هؤلاء الاعداء يسومونهم الخسف والذل وسوء العذاب وهونت من شأن ثقافاتهم ودينهم ، وجعلت العزة والسلطان لغيرهم ، وإنما العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

من الممكن أن تتلافى هذه الاخطار ، وان يجنب المسلمون شرها وضررها إذا تعاونت القلوب وتآزرت الجهود ، ونُسيت العصبيات ، ورجعنا جميعاً الى الحق ننشده مخلصين .

إن حوالى اربعمائة مليون من المسلمين منبثين في بلاد الله شرقاً وغرباً ، لم يؤتوا من قلة ، ولم يؤتوا من فقر في عقولهم ، أو في بلادهم او في استعدادهم ، او في ثرواتهم الطبيعية ، ولقد شهد التاريخ كيف كانوا اقل من ذلك عدداً ، وأقل من ذلك مالاً وثروة وخصباً ، ومع ذلك سادوا وشادوا ، ولفتوا الى علومهم وأفكارهم ومدنيتهم اهل الزمان ! .

فالمسألة اذن انما ترجع الى هذا التفرق والتقاطع ، الى هذا الفقر الطارىء على النفوس والهمم والعزائم ، وقد تنبه الى ذلك كثير من اهل العلم والفكر من المسلمين في عهود مختلفة ، وكانت صيحاتهم تنبعث في الحين بعد الحين ، عالية طوراً وطوراً خافتة ، ينادون امتهم أن تنتبه الى هذا المرض الخطير ، والا قضي عليك القضاء الاخير .

ولكن هذا كله — مع شديد الاسف — لم يتجاوز حدود الامل الذي يساور النفوس . او القول الذي تجري به الألسنة والشفاه ، ولم تتخذ خطوات عملية مثمرة لتنفيذه حتى كاد الناس ييأسون من شفاء هذه الامة . ويتوجسون ان يدركها بسبب هذا الداء الوبيل موت نهائي بعد ان ألحت عليها العلة حتى اضعفتها وبرتها !

ولكن الله — جلت حكمته — أرحم من ان يترك الامة المحمدية لهذا المصير الفاجع ، وهي خير امة اخرجت للناس ، نعم انها أساءت الى نفسها ، وخرجت عن دائرة دينها ، وغيرت وبدلت وأعرضت ، الا انها ما تزال أمة القرآن ، وامة خير الانبياء عليهم السلام ، وان القرآن الذي أنقذ المسلمين واخرجهم من الظلمات الى النور باذن ربهم ، وجمع بينهم ، وألف بين قلوبهم ، وقد كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها ، وجعلهم سادة العالم وقادته ، لهو جدير بان ينقذهم مرة اخرى ، وبان يرفعهم من وهدة خلافهم وتطاحنهم ، وقد أنبأنا الصادق الامين عليه الصلاة والسلام بانه ما تزال طائفة او طوائف من امته على الحق لا يضرهم من خرج عنهم الى يوم القيامة ، وان الله يبعث في الحين بعد الحين الى هذه الامة من يجددها ويسددها ويهديها بفضله الى سواء السبيل .

لعلنا نلمح نور هذا الفجر المنتظر يشع على العالم الاسلامي ، لعلنا ننتظر هذا التجديد الموعود به في هذا العصر الذي تنبه فيه الغافلون ، واستيقظ النائمون ، لعلنا نلتمس ان تبزغ هذه الشمس في مصر والعالم الاسلامي بعد ان طال احتجابها عن المسلمين .

نقول ذلك ونحن نقدم جماعتنا هذه (جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية) الى العالم الاسلامي الذي رزح تحت أثقال التفرق اجيالاً بعد اجيال ، وقروناً تطاول عليها الامد ، فنبشر المسلمين بعهد جديد نرجو ان يكون بدءاً لانقشاع سحب الخلاف من جوهم ، ونرجو ان تكون الخطوات فيه الى هذا الغرض الشريف سريعة موفقة ان شاء الله .

وقد ألفت هذه الجماعة في مصر حاضرة الاسلام ، وملتقى افكار المسلمين ، ونهضاتهم ، ومشرق شمس الازهر الشريف ، تلك الجامعة العلمية الاسلامية التي تهوي اليها افئدة من الناس في مشارق الارض ومغاربها ، على ان تكون لها فيما بعد فروع في شتى البلاد ، ومختلف البقاع ، تسير على نهجها ، وتخدم فكرتها ، وتعاون على جمع كلمة المسلمين بكل ما تستطيع من انواع المعاونة .

واننا — حين نعلن في العالم الاسلامي نبأ تأليف هذه الجماعة ذات الغرض الاسمى — لنرجو من كل مسلم ان يتقبلها بقبول حسن ، وان يضم جهده الى جهود اعضائها ، وان يبث فكرتها ويعمل على تحقيق غايتها ، نرجو ذلك من كل امة وطائفة وجماعة وفرد ، ونرجوه من كل من يؤمن بالقرآن ، ويعتقد برسالة

محمد عليه الصلاة والسلام ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

على بركة الله اذن تتقدم هذه الجماعة الى العالم الاسلامي ، وتعلن بادىء الامر انها ذات اغراض دينية اجتماعية فقط ، كما جاء في قانونها الاساسي ، ذلك القانون الذي اتفق عليه اعضاؤها المؤسسون ، وهو العهد بيننا وبين المسلمين ، في ظل الاسلام ، وتحت راية القرآن ، نستعين الله على الوفاء به ، والنهوض بتبعاته « ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » . « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » .

وحدة المسلمين حول الثقافة الاسلامية لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب

لا يهمني ان كانت هذه القصة حقيقة واقعية ، أو خرافة من نسج الخيال ، وإنما يهمني أن تكون مقدمة لنتائج نتعرض لها في هذا المقال .

ولا يهمني إن كان بطلها من حكماء الفرس أو من أبطال الرومان ، أو من غزاة العرب ، من الموحدين أو من غيرهم ، بقدر ما تهمني فكرته السامية .

كان حكيماً نافذ الكلمة في عشيرته ، شديد الغيرة على مصالحهم ، تقدمت به السن ، فأراد أن يزف وحيده ويتنازل له عن رياسة قومه ، فقدم اليه أتباعه — على عادة القبائل والعشائر — هدايا ثمينة ، فأراد أن يستغل شعورهم هذا في توطيد الامارة لولده ، ولأحفاده من بعده ، فخطب فيهم شاكراً ، ورجاهم أن يستردوا هداياهم ، فألحوا عليه في قبول شيء فقال لهم : « ان كان لا بد من تقديم شيء ، فأقيموا لولدي بيتاً يسكنه ، بشرط ان تشتركوا في بنائه ، وتساهموا في إقامته ، وأحب أن أراكم تحملون لبنائه بأنفسكم وتضعونها في البناء بأيديكم ، فأقدموا على هذا العمل الذي يرضي شيخهم الكبير ، ولما تم البناء ، أوصى ولده أن يقيم فيه ، ولا يتحول عنه ، لان مقامه في بناء مشترك ربط للقلوب والنفوس جميعاً ، ولان الناس يتمسكون به ، ويتعلقون بإمارته ما أقام في هذا البيت الذي صنعوه بأنفسهم ، ويقولون إن نبوءة الشيخ تحققت ، وكان نزيل هذه الدار من أحفاده اميراً مرموقاً وحاكماً مطاعاً .

اذا كانت هذه قصة خيالية ، فهناك قصة من صميم الواقع ، عن قصر فخم لم تر عين الزمان مثله ، أقيم على أساس متين ، وشيد من حجر صلد بأيدي أمهر البناة المخلصين من الابيض والاسود ، ساهم في إقامته رجال من أقصى الشرق الى اقصى

الغرب ، من بلخ وبخارى وسمرقند وطوس وطبرستان والري والعراق والشام والحجاز ومصر والاندلس وما بينها ، وتعبت فيه عقولهم - إن صح هذا التعبير - واستعملت فيه لبنات نورانية بدل اللبنات الظلمانية المعروفة .

وإذا كانت مرضاة ذلك الشيخ هي الدافع الى بناء ذلك البيت الصغير ، فان الدافع الى بناء هذا القصر المنيف ، هي مرضاة الله في الدارين ، وإرضاء الضمير والايمان والعقيدة . بني باسم الاسلام ، وقدمه بناته الى الاسلام ، ليكون في خدمة الاسلام والمسلمين ، ولم يكن لحدائقه أسوار تمنع الناس من الدخول فيه ، ولا بين أقسامه حواجز تحجب عن الرواد بعض نواحيه ، فتوجهت اليه عقول الملايين ، وتعلقت به قلوب مئات الملايين ، وعبق عطره في اركان العالم الاسلامي وفاح شذاه في اركان الكون كله ، وأطلت عظمته على الشرق والغرب .

ذلك قصر الثقافة الاسلامية التي أراد الله أن تكون اعظم مفخرة للمسلمين ، وأعظم ثمرة للاسلام ، تلك الثقافة التي لم يوح بها احد ، وانما أوحى بها الشعور والايمان والرغبة في أن يكون للاسلام ثقافة خاصة ينهل منها المسلمون ، واندفع لتحقيق ذلك بناؤون من كل شعب مسلم ، ومن كل طائفة اسلامية ، وتخلوا جميعاً عن كل قومية ولغة ، إلا قومية الاسلام ولغة القرآن ، فالبلخي نسي بلخيته ، والفارسي نسي فارسيته ، والبخاري نسي انه بخاري ، والعربي نسي عروبته وجعلوا انفسهم في خدمة الاسلام ولغة الاسلام ، وخلقوا ثقافة اسلامية استنبطوا قسما كبيراً منها من الاسلام نفسه ، واخذوا قسماً آخر من الثقافات اليونانيــة والفارسية والهندية ، التزموا فيه نهجاً لم يلتزمه البناة قبلهم ، هو ان يصبغوه بصبغة الاسلام ، ويسخروه في خدمة فكرة الاسلام ليكون ثقافة اسلامية قبل كل شيء ، ووفقوا في هذا توفيقاً عجيباً ، حتى انهم اخذوا الفلسفة اليونانية - التي كانت تثبت العقائد الوثنية ، والتي استغلتها الكنيسة فيما بعد لخدمة التثليث - وصبغوهــا بالصبغة الاسلامية واثبتوا بها التوحيد والمعاد ، ولست بصدد شرح هذا وسأفرد له بحثاً خاصاً .

ولم ينشط في إقامة هذا القصر البناؤون فحسب ، بل نشط كذلك النجارون والبستانيون واهتم كل بناحيته ، وتقدم كل فن يشجعه الاسلام من تفسير الى ادب ، ومن طب الى كيمياء ، ومن علوم اسلامية الى نبوغ في الفقــه بنوع خاص ، وهكذا اوجدوا كنزاً ثميناً ، يليق ان يسمى بحق أغنى كنز في العلوم الاسلامية ، ازدهرت كل هذه العلوم دون ان يؤخذ عهد من القائمين عليها ودون

ان تشرف على تنسيقها منظمة كاليونسكو ، ودون ان يمنع احد من الدخول في اي بحث ، او يحرم من الرجوع الى اي مرجع ، او الاعتراف من اي منهل . كانت ثقافة اسلامية تقدم لكل المسلمين ، لا لشعب دون شعب ولا لطائفة دون طائفة ، وكان لكل عالم حق الدخول في كل بحث ومراجعة اي كتاب والاخذ باي رأي ولا ينظر احد الى من يخالفه في الرأي الا نظرة التقدير والاخوة .

فالخليفة يقدم الى الامام كرسي الدراسة ببغداد ، والسني يستمع الى دروسه كثير من غير اهل السنة ، ومرجع الفتوى الى كل مذهب ، والباحث يقف على رأي كل مفكر . كانت ثقافة عامة مشتركة ، تعلق بها كل قطر لانه يساهم فيها ، وغار عليها كل صقع لان له قسطاً منهـــا ، وحفظ حرمتها وكرامتها كل مسلم واحترم رجالها ونظر اليهم كمجموعة يكمل بعضها بعضاً ولا تقبل التجزئة .

لعلك تتساءل : اين هذا القصر ؟ هل عدا عليه الدهر فخربه ، ام غصبه احد الطغاة ودمره ؟ كلا : لا هذا ولا ذاك . انما تنازع فيه ورثته ، وقسموه فيما بينهم واقاموا الحواجز بين اقسامه ، واستقل كل فريق بحصته وامتنع الآخرون من الدخول اليها .

وهكذا تحولت الثقافة الاسلامية من عامة جامعة ، الى مذهبية ضيقة ، ومن قومية شائعة ، الى طائفية محدودة ، وعكف كل عالم على مراجع مذهبه ، واغفى عن ما في المذاهب الاخرى ، وتعصب لما درس ، واستراب في كل ما جهـــل . وتأثرت كل طائفة بعلمائها ، وتمسكت بنهجهم ، ونفرت من كل من يخالفهم في الرأي بل ذهبت الى الشك في عقائد الطوائف الاخرى .

وانتهز كثير من غير المسلمين هـذه الظلمة ، وتسللوا الى الصفوف ، وتسموا باسم المسلمين ، واستغلوا جهل الطوائف بعضها ببعض ، يزعمون لكل طائفة انهم من الاخرى ، يقولون للشيعة نحن من أهل السنة ، ويقولون لهؤلاء نحن من أولئك ، واستطاعوا في غفلة المسلمين وجهلهم أن يسيئوا إلى الاسلام قروناً عديدة .

كل هذا حصل بسبب التعصب المذهبي الذي تريد جماعة التقريب القضاء عليه ، وبتأثير النزعات الشعوبية التي ترمي إلى تقسيم هذا التراث باعتبار العنصرية .

فلو أننا فتحنا صدورنا من جديد ، واعتبرنا الثقافة الاسلامية ، مجموعة يكمل بعضها بعضاً ، وتفاهمنا فيما بيننا على هذا الاساس ، وأدركنا أن هـــذه الثقافة إسلامية ، بنيت على أن تكون للاسلام قبل كل شيء ، وليست ملكاً لفرد ولا

لمذهب أو طائفة كما أنها ما أوجدت لتكون عنصرية ؛ لجددنا بناء هذا القصر المنيف ولمحونا عن كل طائفة باطل الاتهامات الموجهة اليها ، ولاخرجنا من بيننا من ليسوا بمسلمين كأولئك الادعياء الذين انتسبوا كذباً إلى الاسلام وهم معاول هـدم في الكيان الاسلامي .

وفي رأيي أن ثقافـة إسلامية موحدة - اذا التف حولها المسلمون - كفيلة بتوحيد صفوفهم ، ولا يخفى ما تؤدي إليه الوحدة من عز ومجد وسؤدد .

وما دامت هذه الثقافة موجودة ، فإن من الميسور بلوغ هذا الهدف ، وهو ما نعمل له ونسعى الى تحقيقه . والله ولي التوفيق ؟

من دعاة الوحدة الاسلامية :

قام في العالم الاسلامي رجال آمنوا بفكرة الوحـدة الاسلامية واخلصوا في العمل لها وجاهدوا في سبيلها حتى لقوا ربهم مخلفين وراءهم هذه الفكرة يحملها اناس آخرون يعملون ويرجون ان يتموا ما بدأه سابقوهم .

ونحن هنا نأتي بتراجم لهؤلاء المجاهدين الذين آمنوا بالاسلام كما آمنوا بانفسهم وان عليهم ان يحققوا الاهداف التي جاء بها وفي مقدمتها الوحدة والتوحيد :

جمال الدين الافغاني

ولعل الداعية العملي الاول في القرن التاسع عشر للوحـدة الاسلامية او في العصر الحديث هو السيد جمال الدين الافغاني الذي جعل دعوته للوحدة دعوة كاملة ونعني بذلك انه كان يدعو الى الوحدة والى الاخذ بمستلزماتها ودواعي توكيدهـا وتدعيمها واسس بنيانها وهي فهم الاسلام فهماً صحيحاً بعيداً عن الخرافـات والاباطيل التي كانت وما زال بعضها عالقاً بالاذهان غير المتعمقة في فهم الاسلام . والاخذ بنظمه في كافة نواحي الحياة ، والعمل على التخلص من الاستعمار بالوانه المختلفة ، فكان بحق منشئاً لحركة اصلاحية جديدة عمت البلاد الاسلامية .

ولد جمال الدين عام ١٨٣٨ في سعد اباد القريبة من عاصمة افغانستان والتي عقد بها ميثاق سعد اباد المعروف بين بعض البلاد الاسلامية ... ونسبه يتصل بالرسول عليه الصلاة والسلام . وما جاء العام الثامن عشر من عمره حتى الم بعلوم اللغة والتاريخ والشريعة بل واخذ بنصيب من علوم الطب .

ثم عاش في بلده حتى قامت حرب اهلية بين اخوة متنازعين على الملك انضم

جمال الدين الى احدهم حتى انتصر فعينه وزيراً له .. ولما كان يعد نفسه لمهمة عظمى هي ايقاظ الفكرة الاسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين فقد استأذن اميره وسافر الى الهند والتف حوله المثقفون وتتلمذوا عليه وآمنوا بفكرته حتى عزم ان يسافر الى مكة ليتصل بوفود البلاد الاسلامية لنشر آرائه وافكاره .

وفي طريقه الى مكة اضطره الانكليز الى النزول في مصر حتى لا ينفخ في البوق ضدها في منبر الحج ...

ولم تمض اربعون يوماً على قدومه مصر حتى استدعاه السلطان عبد العزيز الخليفة الى استنبول مبدياً رضاه عن دعوته لتوحيد المسلمين وجمع كلمتهم ولكن الايدي الخفية لعبت فصدر اليه الامر بالرحيل عن تركيا ولكن بعد ان خلف تلامذة كان من آثارهم الثورة التي قامت باسم مدحت باشا عام ١٨٧١ .

ووصل مصر في هذا العام في عهد اسماعيل وبقي بها مدة ينفخ فيها روحه بين تلاميذه حتى اوجد مدرسة جديدة فيها .. فخشي المستعمرون من ازديادهم واتساع رقعة دعوته فنفوه الى الهند مرة اخرى ولكنهم عادوا فاطلقوا سراحه فسافر الى لندن فباريس حيث وافاه اليها تلميذه محمد عبده واصدر مجلة العروة الوثقى بها التي منع الانجليز دخولها مصر والبلاد التي تقع تحت سيطرتهم .

ثم اخذ يناضل ويكافح حتى دعي مرة اخرى الى الاستانة وما لبث بها يدعو لفكرته حتى انتقل الى جوار ربه في ٩ مارس ١٨٩٧ .

لقد جمع رسالة الحرية بالدين حيث يقول : « ان الاسلام والذل لا يجتمعان في قلب واحد » .

محمد عبده

كان لظهور محمد عبده في الحياة المصرية والاسلامية اثراً كبيراً فقد اعدته العناية ليكون تلميذاً لجمال الدين الافغاني ظلّ يرافقه ويتتبع خطاه حتى اصبح صورة منه له افكاره وفلسفته ونظرته البعيدة عن المؤثرات الى الامور ومن ثم بدأ عهده في التتلمذ على جمال الدين بالكتابة في الامور السياسية ثم اشتغل مدرساً ثم محرراً في جريدة الحكومة الرسمية « الوقائع المصرية » حتى قامت الثورة العرابية فاتهم بتأييدها ونفي من مصر فرحل الى سورية حيث اقام بها ست سنوات كان كأستاذه ينفخ فيها من روحه على تلامذة له . ثم نزح الى باريس حيث التقى باستاذه جمال الدين واصدرا معاً جريدة « العروة الوثقى » .

وصدر عفو عنه فعاد الى مصر حيث عين في مناصب القضاء ثم عضواً في مجلس الازهر واخيراً مفتياً عاماً للديار المصرية وظل في منصبه هذا يكافح الجمود والجحود ويدعو الى الاسلام الصحيح حتى وافاه القدر المحتوم في ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ وقد خلف من بعده تلامذة كما تتلمذ هو على جمال الدين ومن بينهم المرحوم الامام المراغي والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق وغيرهم من اعلام الاسلام .

اقبال شاعر الباكستان

كان مولد الدكتور السير محمد اقبال سنة ١٨٧٦ من أسرة برهمية الاصل اعتنقت الاسلام منذ ثلاثة قرون وهاجرت من كشمير أمام الحوادث الى البنجاب حيث استقرت بها آمنة مطمئنة ، وبدأ مراحل تعليمه فبدت عليه مخايل النبوغ ودلائل الذكاء فكان يتفوّق على لداته ويسبق أقرانه ويفوز بالجوائز العلمية من الكلية بلاهور حيث تلقى بها الفلسفة على السير توماس آرنولد الذي كان دائم الاعجاب والافتخار بتلميذه اقبال ولما أكمل دراسته وقع عليه الاختيار لتدريس الفلسفة بالكلية نفسها .

أما الشعر فقد أنشد اقبال بواكيره الاولى في سن مبكرة وكان لسان تعبيره وريشة تصويره والمنبر الذي أعلن من فوقه رسالته الادبية والمذياع الذي أرسل منه حكمته الاسلامية . والشعر كما يحدثنا عنه الشاعر صفي اللكنوي هو ابراز مكنونات العواطف القلبية فان القلب اذا لم يكن عامراً بهذه العواطف كان الشعر المنظوم عديم الجدوى فالانسان لم يفضل الحيوان بالعقل الذي هو مصدر المعرفة بل بالوجدان الذي هو مبعث الشعور والايمان فإن الجذبات والمشاعر والعواطف هي النقطة الرئيسية الفاصلة الحاسمة في مميزات الانسان وعندما تتمثل هذه المشاعر والعواطف الفاظاً تكون هي الشعر ، ولما انفرد به اقبال من المشاعر والاحاسيس الفياضة في نظمه ارتجى منه الادباء شاعراً كبيراً .

وفي سنة ١٩٠٥ سافر الى كمبردج ثم الى ميونخ ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة . وقد استغل زمن اقامته باروبا فأدى ما رآه لزاماً عليه نحو دينه ودافع عنه وجاهد في سبيله مظهراً مزايا الاسلام مفنداً أراجيف خصومه وألقى عن الاسلام عدة محاضرات في انكلترا ثم عاد الى الهند سنة ١٩٠٨ فأحسن القوم استقباله وقد توسموا فيه الخير لامته ودينه ومن ثم جرد قلمه ووقف بيانه وتفكيره

وشعوره لاعلاء منار الاسلام ولقد سأله العالم الجليل السيد سليمان الندوي تلميذ العلامة شبلي نعماني يوماً أثناء زيارة اقبال لكابل بدعوة من جلالة نادر شاه ملك الافغان عن سر بلاغته التي اكتشف بها اسرار الدين ومعالم الحق ووصل بها الى أساليب من التعبير قل ان يصل اليها أهل الفقه والعلم وغيرهم من القائمين على أمر الهداية والتوجيه فقال اقبال «يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعر أو نثر الى توجيهات أبي رحمه الله فقد كنت تعودت ان أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح وكان يراني والدي فيسألني ماذا أصنع فأجيبه بأني أقرأ القرآن وظل على ذلك ثلاث متتاليات يسألني سؤاله فأجيبه جوابي وفي ذات صباح قلت له بعد اجابتي ولكن لماذا تسألني عن شيء انت بجوابه عليم فقال «انما أردت ان أقول لك اقرأ القرآن كأنه نزل عليك» ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن واقبل عليه فكان من انواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت».

هذا ولما عاد اقبال من اوروبا الى لاهور امتهن المحاماة وقدم العون لبني ملته في الكثير من شؤونهم العامة فازداد مكانة في النفوس وتمكيناً في السياسة والادب حتى تخطى صيته ربوع الهند. ثم والى بعد ذلك رحلاته الى مختلف بلدان المشرق والمغرب مما سنذكر عنه شيئاً فيما بعد.

كان اقبال ينشد الشعر بالأردية والفارسية وكانت الصحف تنشر له كثيراً مما ينشده في المجامع والمحافل وقد جمع اقبال من اشعاره ديواناً أسماه «بانك درا» (صلصلة الجرس) وقد نشر غير هذا الديوان عدة كتب منها اسرار خودى ورموز بي خودى (اسرار الذاتية ورموز الذاتية) وكذلك بيام مشرق وزبور عجم وجاويد نامة وجميعها باللغة الفارسية وبال جبريل وضرب كليم وديوان بانك درا باللغة الأردية وقد وافته منيته وهو ينظم كتابه (ارمغان حجاز) ونصفه بالفارسية والنصف الآخر بالاردية وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته.

وقد ضمن منظوماته مناحي كثيرة من فلسفته وتفكيره وعواطفه تناول فيها العالم والاسلام والاخلاق محاولاً ايقاظ الشعور واشعال الحماسة في قلوب المسلمين خاصة والشرقيين عامة وفي ذلك يقول احد زعماء المناداك «ان اقبالاً قد وضع المصباح على باب المسلم ولم يحجب نوره عن غير المسلمين بل امكن للجميع ان يستضيئوا بنور ذلك المصباح. ولقد عدّه احد سفراء الفرس من اصحاب الرسائل العالمية الانسانية.

قامت الحركة السنوسية على أساس ديني هو نشر المبادىء الدينية في ربوع ليبيا وافريقيا وكان أن انشئت الزوايا في انحائها ..

ولما تعرضت الوحدة الاسلامية التى كان رمزها حينذاك الخـلافة العثمانية الى الانهيار والتدهور بهجوم الايطاليين على طرابلس وبرقة هب المجاهد الكبير المرحوم السيد احمد الشريف للعمل والجهاد لنصرتها وتحولت الحركة إلى جهاد من أجل وحدة المسلمين وتحريرهم وقد ايده الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد بأن وكل اليه مهمة العمل نيابة عنه بعد انسحاب الاتراك من ليبيا .

ولم يكن ميدان جهاده ليبيا وحدها بـل انه اتجه بجيش الى مصر لتخفيف الضغط الانجليزي على الجيوش التركية المهاجمة لها .. بل انه قبل عقد الهدنة في الحرب العالمية الاولى سافر الى اسطنبول ومعه صالح حرب باشا فلما قامت الحركة الكمالية عاونها حتى دفع ديار بكر والاكراد لتأييدها ونصرتها فلما فازت الحركة سافر الى الشام ثم الى نجد ونزل ضيفا على جلالة الملك ابن سعود فلما قام الخلاف بين امام اليمن والادارسه قام بالتوسط لحل هذا الخلاف وايضاً حينما نشبت الحرب بين اليمن والمملكة العربية السعودية حتى اصلح ذات البين بين الدولتين ثم رجع في ضيافة جلالة الملك ابن سعود حتى انتقل الى جوار ربه في ١٠ مارس سنة ١٩٣٣

ومن تاريخ حياة السيد احمد الشريف تعرف الحركة السنوسية وان من منهاجها العمل على وحدة المسلمين وتحريرهم والجهاد من أجل ذلك بالنفس والمال ولهذا فإنها تعد حركة قوية قامت من أجل الوحدة الاسلامية .

حسن البنا

ولد المرحوم حسن البنا بمدينة المحمودية واتم تعليمه الاولي بها ثم التحق بدار العلوم حيث نال دبلومها وعين مدرساً بمدينة الاسماعيلية وهناك ، ولم تكن سنه قد تجاوزت الواحدة والعشرين سنة ، بدأ دعوته لاعادة المسلمين الى دينهم وافهامهـم حقيقته . على انه نظام كامل شامل لكل نواحي الحياة واخذت دعوته تزداد اتساعاً حتى شملت القطر المصري والاقطار العربية والاسلامية الاخرى وكان من مبادئه الاولى الوحدة الاسلامية . وقد انشأ بالجماعة قسماً اطلق عليه اسم « قسم الاتصال بالعالم الاسلامي » ومهمته العمل على الوحدة الاسلاميـة ونشر الدعوة بالاقطار الاسلامية وكان هذا القسم وسيلة من وسائل التقريب بين المسلمين ففيه مندوبون

يناوئ كافة البلاد الاسلامية .

وقد اجتمع رحمه الله بكثير من رجالات البلاد الاسلامية والعربية والشرقية في مناسبات شتى كان فيها حريصاً على ايضاح حقيقة دعوته واهدافها ونظمها الشاملة لجميع نواحي الحياة . . وعاون في كثير من القضايا الاسلامية كقضية الباكستان وكشمير وحيدر اباد وسوريا ولبنان وفلسطين وشمال افريقيا وكل ما يتصل بالعالم الاسلامي وكان شعلة من النشاط والذكاء الخارق حتى تيسر له في مدى عشرين عاماً ان يؤسس في كل مدينة وقرية فرعاً لجماعته وانشأ الشركات والصحف والدور والمدارس والمستوصفات والمصانع وقام بما لم تقم به جماعات في مثل هذه المدة .

الى ان وقع الخلاف المشئوم بينه وبين حكومة النقراشي باشا فحلت الجماعة بأمر عسكري ثم قتل بعد ذلك النقراشي باشا واعتقل الاعضاء الا الاستاذ البنا الى ان اغتالته يد اثيمة عند خروجه من دار الشبان المسلمين في مساء .

فنقل الى مستشفى القصر العيني وبقي ثلاث ساعات حتى انتقلت روحه الطاهرة الى بارئها رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيراً .

محمد علي جناح

نشأته

ادخل جناح بونجا ابنه مكتباً ليتعلم فيه القرآن واللغة الاردية ولما شب عن الطوق فكر في ان يدخله مدرسة عصرية يتلقى فيها العلوم الدنيوية فأرسله الى عباي والتحق بمدرسة ابتدائية إلا ان أمه « سكينه بيغم » لم تستطع ان تتحمل بعده عنها فاستدعاه والده الى كراتشي وألحقه بمدرسة ثانوية ثم بمدرسة التبشير الثانوية بكراتشي وحصل على شهادة (البكالوريا) وعمره ستة عشر عاماً .

لاحت معالم الذكاء وظهرت آيات النجابة عليه واشار على والده بعض الاصدقاء ليعلمه القانون فأرسله والده الى لندن وسكن محمد علي جناح في فندق يسمى Lincolninn ولم يشغله جمال اوربا وسحر بريطانيا عن الانهماك في القراءة والاطلاع والدرس والتحصيل وما كان يشترك فيما كان يشترك فيه امثاله واقرانه من الملاهي والملاعب حتى نال اجازة المحاماة في سنة ١٨٩١ وعمره واحد وعشرون عاماً ويذكر اقرانه عنه انه كان حينما يفرغ من محاضراته كان يذهب الى مكتبة المتحف البريطاني يقرأ فيها حياة العظماء والقواد وقال لاحدهم انه استفاد من مطالعة سيرة حياة هؤلاء العظماء اكثر مما استفاد من محاضرته .

اشتغاله بالمحاماة

سافر الى بمباي في سنة ١٨٩٧ ولم يكن معه الا قليل من المال وعزيمته القوية ، وعاطفته الصادقة وشجاعته النادرة وامانيه العالية . بقي في بمباي ثلاث سنوات دون ان يجد قضية يبدأ عمله بها وكان يقترض ممن يعرفهم ويقتل وقته في مطالعة كتب القانون ويقضي اوقاته في الاطلاع . في تلك الايام التي لم يشتغل فيها جناح بقضية ما ، قابل نقيب المحامين مستر Macpherson فسمح له ان يستعمل مكتبه كيفما شاء وقد لمس النقيب ذكاء جناح المتوقد فكان اول مساعد له وقد اخذ بعض الانجليز على المستر Macpherson اختلاطه بجناح ولكنه لم يبال بقولهم .

قلنا انه مضت ثلاث سنوات على جناح وهو في بمباي دون ان تقدم له قضية يقوم بالمرافعة فيها اي انه كان بدون عمل يقوم به وما كان هذا ليوهن عزيمته ، او يثبط همته . بعد هذه المدة الطويلة بدأ يترافع في عدة قضايا وكان النجاح حليفه فيها وقد ناب عن مستر هرشنك قاضي بمباي حينما سافر في اجازة مدتها ثلاثة شهور وحاول كبار المحامين ان ينوبوا عنه في هذه المدة وكان جناح اصغرهم سناً وفي هذه المدة رأى المحامون لباقته وتوقعوا له وظيفة كبيرة بعد عودة القاضي ولكنه فضل العمل الحر على الوظائف فقد عرضت عليه وظيفة قانونية بمرتب قدره ١٥٠٠ روبية شهرياً ولكنه رفضها وقال انه يستطيع ان يكسب مثل هذا المبلغ يومياً حتى اتهم بالغرور ولكن في بحر شهرين رأى مستر شارلس رئيس المحاكم انه صار يكسب هذا المبلغ في اليوم الواحد . بهذه السرعة تقدم جناح وشجعه مستر شارلس .

اشتغاله بالسياسة

لم يفكر جناح في الاشتغال بالسياسة حتى ذلك الوقت وعندما وجد ان ما درته عليه مهنة المحاماة من اموال طائلة يمكنه معه ان يقوم بخدمة بلاده اشترك في المؤتمر الهندي وعمل به كسكرتير لأحد زعمائه وهو دادابهائي نوروجي في سنة ١٩٠٥ بكلكتا ولم يشعر احد بخطواته التي خطاها حتى وصل الى مرتبة الزعامة بل وجد الناس انفسهم امام قائد اعظم وزعيم يشار اليه بالبنان .

لمس الناس نبوغه وبلاغته وقوة بيانه في دور المحاكم وفي مرافعاته وما لبثوا ان رأوه في ميدان السياسة وعلى منصة المؤتمر الهندي اقوى بلاغة وأعظم سحراً وبيانا ، وكان كبار القادة يخضعون لآرائه وافكاره وفي سنة ١٩٠٨ كان لجناح

القدح المعلى والسهم الوافر في تغيير قانون المؤتمر الهندي وتنقيحه ،وقد اعترف زعماء المؤتمر الهندي بزعامته .

في سنة ١٩٠٩ عندما أعلنت الحكومة انتخاب اعضاء مجلس الشوري الاعلى ، وكان يمثل بمباي وغيرها من المقاطعات شخص مسلم وقع الاختيار على محمد علي جناح من شخصين غنيين قويين كانا يتنافسان على عضوية ذلك المجلس ، ثم اجمعا على التنازل لجناح ، وبذلك صار عضواً دون ان ينفق من المال او الجهد شيئاً ، وهذا يدل على مبلغ ثقة الناس به وإعجابهم ببلاغته وقوة حجته ، وكانت عضوية هذا المجلس تضارع منصب الوزارة في تلك الايام . وقد بدأ نشاطه واضحا واشتهر أمره وصار ملء الاسماع وملء الافواه وملء الابصار .

اشتراكه في الرابطة الاسلامية

في سنة ١٩١٣ طلب منه مولانا محمد علي والسيد وزير حسن من كبار زعماء المسلمين أن يشترك في الرابطة الاسلامية فقبل عضويتها مع اشتراكه في حزب المؤتمر وذهب الى لندن زعيما للوفد الهندي في سنة ١٩١٤ ليعلن الحكومة البريطانية بعدم رضاء الهند عن اعمالها في الهند .

وفي سنة ١٩١٩ نادي بإصلاح قوانين مجلس شورى الهند ، واضطرت الحكومة الى الاستجابة الى رغبته .

مما تقدم يمكن القول بأن زعامة محمد علي جناح كان يستجيب لها الافراد والحكومات والهيئات .

عند ما قبل جناح عضوية الرابطة الاسلامية عمل على التقريب بين المسلمين والهنادك ، لاعتقاده بأنه لا يمكن للهند أن تنال الاستقلال الا بالاتحاد ، ولم يترك حيلة الا اتبعها ، ولا وسيلة الا سلكها . وقد اعترفت مسز نائيدو حاكمة الاقاليم المتحدة ورئيسة المؤتمر الهندي سابقاً في كتابها بأنه كان رسول السلام بين المسلمين والهنادك .

في سنة ١٩١٤ انتهز فرصة قيام الحرب العظمى ونادى بوجوب تقديم مطالب الهند عن طريق المؤتمر الهندي والرابطة الاسلامية وكان المؤتمر الهندي قد أعلن انه سيعقد اجتماعه السنوي في مدينة بمباي ، فجد جناح في ان يقام اجتماع الرابطة الاسلامية في بمباي ايضاً ، وان يتقدم زعماء الهيئتين متحدين بمطالبهم الى الانجليز ، وقد تعرض جناح لسخرية المسلمين فقد بدأوا يكتبون ضده في الصحف ، وفشل

جناح في محاولته ، واتهم بأن المناداك استماله بأموالهم ولو نجح جناح فيما دعا اليه لنالت بلاد الهند الاستقلال ، خاصة وأن بريطانيا كانت في اشد الاحتياج لمساعدة الهنود في تلك الحرب . ثم انتهز ايضاً فرصة انتهـــاء الحرب الاخيرة وصمم على مشروع الباكستان حتى قامت الباكستان في اغسطس سنة ١٩٤٧ بفضل جهوده وجهاده وعما قريب سيتحقق حلمه في الوحدة الاسلامية .

دولة لياقت علي خان

ولد دولته في عام ١٨٩٥ بمدينة كرنال بشرق البنجاب ، وهو سليـل اسرة ايرانية هاجرت الى الهند منذ خمسمائة عام يتصل نسبها بكسرى انو شروان .

تلقى علومه في الهند بكلية عليكره . ثم بانجلترا بجامعة اكسفورد ، نال منها درجة علمية ، واشتغل هناك بالقضاء ، وعاد الى الهند في سنة ١٩٢٣ ، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي عن الاقاليم المتحدة الهندية منـذ سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٤٠ ، وبدت مواهبـه النادرة وكفاءته ، واصبح زعيماً للحزب الديمقراطي في المجلس ، كما انتخب عضواً في المجلس التشريعي المركزي ثم صار نـــائب رئيس حزب الرابطة الاسلامية .

وفي سنة ١٩٤٦ عين دولته عضواً في المجلس التنفيذي للحاكم العـام ، وتولى وزارة المالية في حكومة الهند المؤقتة ، وكان فيها زعيماً لحزب الرابطة الاسلامية .

وفي ١٥ اغسطس سنة ١٩٤٧ بزغت شمس الدولة الجديـدة (باكستان) الى عالم الوجود ، فتولى رئاسة الوزارة فيها ، لما امتاز به دولته من قوة الحجة ، وبلاغة القول وسطوع البرهان ، حتى طبقت سمعته الآفاق ، وامكنه توطيـــد العلاقات بين باكستان وكثير من دول العالم ، والحق ان الباكستان سمت الى درجة تغبط عليها ، واحتلت مركزاً لائقاً بها كأكبر دولة اسلامية وسارت نحو المجد بخطوات واسعة ، بفضل دولة رئيس الوزراء لياقت علي خان .

معالي غلام محمد وزير مالية الباكستان

ولد معاليه في عام ١٨٩٥ وتلقى علومه في جامعة عليكرة ، ونـــال شهادة « استاذ في الفنون » . ثم شهادة الحقوق ، وجاز امتحاناً امام مصلحة الحسابات الهندية ثم عين وكيلاً لمدير الحسابات العام للبريد والبرق بحكومة الهند ، واسندت اليه مناصب هامة ، ظهر فيها نبوغه ومهارته ، حتى تولى منصب وزارة المالية في

ولاية حيدر آباد ، كما تولى ادارة شركة كبيرة تجارية هي شركة تاتا المشهورة .

وبعد قيام دولة باكستان عين معاليه وزيراً لماليتها يصرف شئونها المالية والاقتصادية .

ومعاليه اديب ممتاز ، يجيد عدة لغات كالانجليزية والفارسية والاردية .

وقد رأت الدنيا ثبات مركز الباكستان المالي دون ان تتأثر بتخفيض نقد اكثر دول العالم ، ويرجع هذا الى براعته في الشئون المالية ورسوخ قدمه في الامور الاقتصادية .

ولا غرو فمعاليه من اعظم خبراء العالم في امور المال .

الاستاذ محمد حسن الاعظمي

ليسمح لي القراء في ان اقدم زميلي في تأليف الكتاب الاستاذ محمد حسن الاعظمي كداعية من دعاة الوحدة الاسلامية وان كنت لم احصل على موافقته في هذا الشأن لانه يعمل منذ ان آمن بهذه الفكرة — وقد آمن بها يافعاً — اقول يعمل من اجلها بعيداً عن الاضواء والدعايات فهو يؤمن بمبدأ العمل المنتج البعيد عن كل صخب او ضوضاء يسعى البعض اليها وحدها ولو لم ينتجوا .

ولد الاستاذ الاعظمي في مدينة (اعظم جره) احدى مدن الهند وتلقى علومه الاولى بها وكان بيته الذي تربى فيه معاوناً له على فهم فكرة الوحدة الاسلامية والايمان بها منذ حداثته لان فيهم السني والشيعي وهو ما لا يمكن ان يجتمع في بلد واحد في ذلك الوقت واذا اجتمع فانه يكون سبباً في قلاقل مستمرة بين الفريقين السنيين والشيعيين .. لهذا فانه تشبع بمبدأ التسامح المذهبي الذي لم يكن له وجود ابان نشأته .

ثم تلقى علومه الثانوية بمدينة « برهانور » فما ان التحق بمدرستها حتى بدا نبوغه فصار متقدماً سواء في الناحية العلمية او بين اقرانه من الناحية الادبية والاجتماعية ثم التحق بكلية الفاطميين في (سورت) فسار على منواله من التقدم حتى انتدب مدرساً لابناء زعيم الفاطميين (البوهرة) ملا طاهر سيف الدين وانتدب ايضاً لالقاء المحاضرات في احتفالات الطائفة فكان ينحو فيها نحواً اسلامياً عاماً وهو ما لم يعرف من قبل ثم انشأ وهو بالكلية جماعة للقضاء على النفور بين المسلمين وافهامهم الاسلام كما هو اخوة شاملة ووحدة كاملة ، وقد اوجدت هذه الجماعة جيلاً جديداً بين معتنقي المذاهب الاسلامية ينحو نحو الوحدة وعدم التعصب

الممقوت والسعي نحو تحقيق الاخوة الاسلامية بين الجميع وقد انضم الى هذه الجماعة كثير من الشباب منهم السني والشيعي والف الكتب والنشرات واسست الفروع والمكتبات لهذه الجماعة حتى ظهرت دعوتها .

ثم سافر الى مصر للالتحاق بالازهر فما ان اقام بها بعض الوقت حتى شكل جماعة « الاخوة الاسلامية » تضم كثيراً من كبار رجالات الاسلام ومندوبين عن البلاد الاسلامية واتخذت لها داراً في قبة الغوري بالقاهرة والقيت فيها المحاضرات والدروس في اللغات الاسلامية والتعريف بالبلاد الاسلامية وكان من رجال هذه الجماعة سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك والمرحوم الشيخ طنطاوي جوهري والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ صاوي شعلان واحمد بك خليل وغيرهم .

ثم لما قربت الحرب من مصر سافر الى الهند مرة اخرى ليبدأ الحركة من هناك فأنشأ فرعاً للاخوة هناك ثم بدأ العمل لتحقيق فكرة جديدة هي العمل على نشر اللغة العربية بين المسلمين في الهند . فأنشأ الجمعية العربية العامة في الهند كان مركزها حيدر اباد اخذت تعمل على نشر العربية حتى اوجدت بين المتعلمين والزعماء من يجيدها .

ثم لما تأسست الباكستان انتقل نشاطه اليها فأسس الاخوة الاسلامية مرة اخرى فيها ضمت كثيراً من الزعماء والقادة ثم الجمعية العربية لنشر اللغة العربية برعاية وزارة المعارف وانشئت كلية اللغة العربية بكراتشي واختير عميداً لها .

ودعت الاخوة الاسلامية الى مؤتمر اسلامي حضره مندوبون عن ثمانية عشر قطراً اسلامياً وانتخب سكرتيراً عاماً له ثم طاف بالبلاد الاسلامية لتأسيس فروع له وبعد انعقاد مؤتمر العالم الاسلامي الاول في الباكستان في ١٧/١٨/١٩ فبراير سنة ١٩٤٩ اتفق على تغيير اسم الاخوة باسم مؤتمر العالم الاسلامي الدائم .. وها هو الاستاذ الاعظمي يعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة والمساهمة في كل ما يتصل بها وكان من ذلك اشتراكنا معاً في تأليف هذا الكتاب .

وهناك غير هؤلاء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فعملوا من اجل وحدة المسلمين وجاهدوا في سبيلها وهم بحمد الله كثير وسنفرد كتاباً خاصاً عن عظماء المسلمين ودعاتهم حتى نستطيع ان نلم فيه بحياة وجهاد كل شخص منهم ليكون ذلك نبراساً يستضيء به الشباب الاسلامي فيسير على النهج الذي ساروا عليه .

ولما يستلزمه بحث هذه المسائل من معرفة للبلاد التي يمكن ان تنظمها هذه الوحدة فاننا قد قدمنا للقارىء معلومات موجزة عن بعض البلاد الاسلامية حتى توجد عنده فكرة عامة عنها وسنقوم ان شاء الله تعالى بعمل دليل لهذه البلاد يجد فيه كل مسلم كل ما يريد ان يعرفه عن البلاد الاسلامية مفصلاً ومنظماً من جميع النواحي .

اندونيسيا

* يبلغ تعداد اندونيسيا حوالى خمسة وسبعين مليوناً من الانفس تسعون في المائة منهم مسلمون .

* اعلن استقلال اندونيسيا وقيام الجمهورية الاندونيسية الرئيس سوكارنو في ١٥ اغسطس سنة ١٩٤٥ عقب تسليم اليابان .

* اعترفت بعض الدول العربية والاسلامية بقيام الجمهورية الاندونيسية عقب ذلك .

* قامت المعارك بين حكومة الجمهورية الاندونيسية وبين الهولانديين الى ان تم الاتفاق بينهما على قيام جمهورية الولايات الاندونيسية المتحدة .

* انتخب الرئيس سوكارنو رئيساً لجمهورية الولايات الاندونيسية المتحدة .

* قال سمو الامير محمد علي ولي عهد المملكة المصرية عن اندونيسيا انها سلاسل متصلة من الحدائق الغناء .

الباكستان

* قامت الباكستان في ١٥ اغسطس سنة ١٩٤٧ وهي مهد حضارة قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد والارض التي تكون غرب الباكستان كانت الموطن الاول للآريين وقد شاهدت حضارة الاسكندر والمقدونيين

* كانت ارض الباكستان اول بقعة وطأتها أقدام العرب والفرس والترك والأفغان في العصور المختلفة

* وهي اكبر البلاد الاسلامية مساحة واكثرها عدداً

* وهي خامس دولة في العالم

* رئيس باكستان اليوم هو فخامة الخواجه ناظم الدين وقد تولى بعد وفاة

المغفور له القائد الاعظم مؤسس الباكستان السيد محمد علي جناح .

* فيها خمسة آلاف ميل من السكك الحديدية و٣٥ الف ميل من الطرق وفيها اطول طريق زراعي يصل بين كراشي (العاصمة) وبيشاور اذ يبلغ طوله ١٠٤٣ ميلاً وهي ثاني دولة بعـــد الولايات المتحدة في الري ففيها ٢٢ قناة رئيسية وفي السند توجد قناطر (صقور) على نهر (الاندس) وتعد اكبر القناطر في آسيا كلها وتسقط الامطار طول السنة في شرق الباكستان ومساحة الاراضي المزروعة تزيد على ٤٤ مليون فدان . لزيادة المعلومات عن الباكستان يرجع الى كتاب (فتى الهند والباكستان) تأليف الاستاذ محمد حسن الاعظمي .

مصر

* يبلغ تعداد القطر المصري غير السودان حوالى عشرين مليوناً والقاهرة هي العاصمة وهي مدينة قديمة بناها المعز لدين الله الفاطمي منذ اكثر من الف سنة .

* ولد جلالة الملك فاروق حفظه الله في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ ونودي بجلالته ملكاً في ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ واقتضت ارادته بجعل عيد جلوسه يوم ٦ مايو .

* عني جلالته بنهضة مصر في جميع النواحي فقام بالرحلات البحرية والصحراوية والبرية لتوجيه المسئولين الى الكشف عن الثروات الاقتصادية من معدنية وزراعية وتجارية وشجع التعليم في شتى نواحيه واقام الجوائز من اجل ذلك وأيد الحركات التحريرية في البلاد الاسلامية فدعا لاندونسيا بعد صلاته في احد المساجد واقـــام النفقات على البعوث الاسلامية بالازهر من جيبه الخاص .

ولجلالته آمال في نهضة المسلمين وبلوغهم المرتبة اللائقة بهم تنم عنها كلماته الطيبة التي يذيعها كل عام في المناسبات الاسلامية خصوصاً في اول رمضان .

* يحرص المصريون والسودانيون على بقاء وحدتهم تحت تاج الفاروق ويحاول المستعمرون ان يقفوا في وجه هـذه الوحدة الضرورية ولكن سيأتي اليوم الذي يقتنع فيه المستعمرون بانه من الافضل لهم الا يقفوا حائلاً بين رغبات شعب وادي النيل والا تعرضوا لسخط المسلمين وثورتهم ضدهم .

* يقوم في مصر الازهر الشريف اكبر جامعة اسلامية ومهد الثقافة الاسلامية واليه تفد البعوث من مختلف انحاء العالم الاسلامي .

تركيا

* جمهورية اوروبية اسيوية مساحتها ٣٠٠ الف ميل مربع سكانها تسعة عشر مليوناً تكونت على اثر الحرب الاستقلالية بعد الحرب العالمية الاولى وعلى انقاض الامبراطورية العثمانية وبعد تحرير اسطنبول والمضايق على يد اتاتورك في سنة ١٩٢٢

* ضمت حدودها الجديدة البلاد التركية وباخراج الاقليات اليونانية وتبادل السكان مع بلاد البلقان الاخرى .

* السلطة التشريعية مجتمعة في يد المجلس الوطني المكون من ٣٩٩ عضواً ولم يكن به الى ما بعد الحرب العالمية الثانية غير حزب واحد هو حزب الشعب الذي اسسه اتاتورك الا انه تكونت بعد ذلك احزاب اخرى اصبح لها نفوذ كبير في المجلس. وبعضها يتجه نحو النهضة الاسلامية وتجديد الثقافة الدينية والاتصال بالدول العربية والاسلامية .

* رئيس الجمهورية التركية في الوقت الحاضر « الجنرال عصمت اينونو » ولد في ازمير سنة ١٨٨٤ ودخل الجيش ١٩٠٣ واشترك في الحرب العالمية الاولى في الجبهة السورية وانضم الى مصطفى كمال في عام ١٩١٩ وانتخب رئيساً للجمهورية في ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٨ بعد وفاة اتاتورك .

* عقدت تركيا ميثاقاً اسلامياً مع العراق وايران وافغانستان عرف بميثاق سعد اباد .

سوريا

* قامت الدولة السورية عقب الحرب العالمية الاولى وكانت في اول امرها ملكية وعلى رأسها جلالة الملك المغفور له فيصل الاول وكانت قبل ذلك تحت الحكم العثماني

* اعتدى الفرنسيون على سوريا وخلعوا الملك فيصل فقامت الثورة ضدهم واستمرت حتى عام ١٩٢٦ وقام النظام الجمهوري في سوريا

* في عام ١٩٣٧ استدعي الوطنيون لتأليف وزارة تتولى مفاوضة الفرنسيين فعقدت معهم معاهدة فيها تغيير للاوضاع الظالمة واعتراف بالدستور

* نقضت فرنسا المعاهدة عام ١٩٣٩ وقامت بعد ذلك الحرب العالمية الثانية

* في عام ١٩٤٣ وقف السوريون يطالبون بالحرية التي وعدهم بها الحلفاء قبل دخولهم اياها فأجريت الانتخابات ودعي البرلمان الى الاجتماع وفاز برئاسة الجمهورية

السيد شكري القوتلي في ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٣ .

* عادت فرنسا الى طبيعتها الاستعمارية فضربت المدن السورية بالقنابل في ٢٩ مايو سنة ١٩٤٥ حينما رفض السوريون شروطاً اقتصادية وعسكرية فصمد السوريون وتدخلت البلاد العربية وجلا الفرنسيون بدون قيد وشرط في ١٧ نيسان سنة ١٩٤٥ .

* قامت عدة انقلابات في سوريا عام ١٩٤٩ وتأسست حكومات ولكن الانقلاب الاخير اخذ في تقرير أوضاع جديدة تقوم على اساس معرفة رأي الشعب

* يزيد عدد سكان سوريا عن المليونين ونصف وتتألف الوزارة من ثماني وزارات وهناك مجلس نواب وليس لها مجلس شيوخ .

* عاصمة سوريا دمشق وبها الجامع الاموي اقدم المساجد فيها .

ايران

* امبراطورية اسلامية اسيوية تجاور العراق وتركيا والباكستان وغيرها من البلاد الاسلامية وجلالة امبراطورها محمد رضا شاه بهلوي نجل المرحوم رضا شاه بهلوي مؤسس ايران الحديثة .

* يعتنق الايرانيون المذهب الشيعي الامامي وقد استطاع اعداء الاسلام ان يضعوا بين الاخوة اموراً زعموا انها قد تنال من اخوتهم فتمحوها ومن حسن الحظ ان هذه الحقيقة بدأت تتكشف وبدأ المسلمون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم يشعرون ان اصولهم واحدة وان الخلاف في الفروع لا يؤدي الى الفرقة والانقسام وقد قامت في ايران وفي غيرها من البلاد الاسلامية حركات تحض على التقريب والتعاون بين المسلمين واعادة سابق العلاقات المكينة بينهم .

* تشترك ايران في المؤتمرات الاسلامية وقد زار جلالة الامبراطور الباكستان زيارة رسمية كما زار ايران سمو الوصي على عرش العراق زيارة رسمية ايضاً زيادة في توثيق الروابط بين المسلمين .

* كانت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وايران قد اعتراها بعض الفتور لحادث وقع لاحد الحجاج الايرانيين ولكن رجال الحكومتين بادروا باصلاح ذات البين وازالة هذا الفتور الذي ساد العلاقات اكثر من عامين حتى عينت الحكومة السعودية وزيراً مفوضاً لها في ايران وقدم في حج عام ١٣٦٧ اكثر من خمسة آلاف حاج ايراني .

العراق

* تقع العراق في شرق بلاد العرب وهي سهل مستو يجري فيه نهرا الدجلة والفرات ويتقابلان ليكونا شط العرب الذي يمتد الى الخليج الفارسي . ومناخ العراق حار في الصيف معتدل قليل الامطار في الشتاء وارض الجزيرة اكثر جهات العراق امطاراً واقلها حرارة واخصبها تربة .

* يزرع العراق القطن والقمح والحبوب الاخرى والفاكهة والنخيل وهو اهم منتجات العراق . ويعتمد العراق في زراعته على الري من مياه النهرين وفي مرتفعاته الشمالية مراع خصبة .

* عاصمة العراق بغداد وهي مدينة قديمة من عهد العباسيين واشهر مدنه البصرة وهي ميناء بحري وجوي هام . والموصل وهي مركز من مراكز البترول الهامة في الشرق العربي .

* يعد الفرات اطول انهار آسيا الغربية اذ يبلغ طوله ٢٣٥٠ كيلو متراً وتستفيد من مياهه ثلاث دول شرقية هي تركيا وسوريا والعراق .

* تم انضمام العراق الى عصبة الامم والغي الانتداب عليها في ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ .

* يتبوأ عرش العراق الآن جلالة الملك فيصل الثاني وقد تبوأ العرش بعد وفاة جلالة المغفور له والده في ٤ ابريل سنة ١٩٣٨ وفي اكتوبر سنة ١٩٤٣ وافق البرلمان العراقي على اجراء تعديل في الدستور اصبح بمقتضاه الامير عبد الاله ولياً للعهد .

افغانستان

* مملكة اسلامية اسيوية مستقلة تقع في شمال غرب الباكستان وعاصمتها كابل

* مساحتها ٢٥٠,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ١٥ مليون نسمة واللغات المستعملة عند السكان هي الفارسية والبوشتو .

* في عام ١٩١٩ قتل حبيب الله خان واستولى على العرش ابنه امان الله خان ولقب نفسه في عام ١٩٢٦ بالملك امان الله وقد حاول ادخال بعض الاساليب الغربية في بلاده ولكن ذلك ادى الى خلعه .

* نشبت ثورات داخلية استولى فيها احد الثوار وهو « باجاسقا » على الملك ولكنه اقصي عنه وشنق في اواخر سنة ١٩٢٩ .

* تولى الجنرال نادر شاه العرش وقتل في ٨ ابريل سنة ١٩٣٣ فخلفه ابنه جلالة الملك محمد ظاهر شاه .

* زار جلالته مصر والبلاد العربية وايران في مارس سنة ١٩٥٠ .

اليمن

* تقع اليمن في الركن الجنوبي الغربي لجزيرة العرب ومساحتها ٧٤٫٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها حوالى مليون نسمة وهي من أخصب اجزاء الجزيرة العربية وتنمو بها جميع انواع النبات واهم حاصلاتها البن .

* توجد بها المعادن المختلفة بكثرة وبعضها قريب من سطح الارض كالفحم ولكنها لم تستغل بعد وقد اشيع اخيراً ان بعض الشركات الامريكية والانجليزية تحاول ان تأخذ امتياز استغلالها .

* يشتغل سكان اليمن بالزراعـــة وبعضهم يعمل في الملاحـة والتجارة ولهم مهارة وذكاء .

* لا تزال اليمن في عزلة عن البلاد الاخرى ولكن ليس كالعزلة الماضية فقد اخذت تتصل بالعالم الخارجي وان كانت لم تتبادل بعد التمثيل السياسي مع اية دولة.

* تأسست الدولة اليمنية حينما قـام جلالة المغفور له الامام يحيى حميد الدين بثورته ضد العثمانيين التي استمرت حتى عام ١٩١٨ .

* قام الانقلاب اليمني الاخير وتولى بعد ذلك جلالة الامام احمد وسميت اليمن رسمياً بالدولة اليمنية المتوكلية وعلمها احمر به خمسة نجوم وسيف .

* من المنتظر ان يدفع النزاع اليمني البريطاني حول مسائل الحدود الى قيام اليمن بحركة اتصال عالمي حتى تضمن لنفسها اصواتاً عند عرض النزاع على هيئة الامم اذا ما استلزم الامر ذلك .

شرق الاردن

* قامت بعد الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٩ وتقع بين فلسطين وسوريا على نهر الاردن وكانت في بادىء الامر امارة .

* يبلغ عدد سكان شرق الاردن حوالى ٤٠٠ ألف نسمة وتعتمد في ايراداتها على اعانة بريطانية ولكن الاتجاه الآن يرمي الى استغلال الموارد الطبيعية والاستغناء عن هذه الاعانة .

* يوجد بشرق الأردن كثير من الآثار القديمة وكثيراً ما يـذهب السياح الى زيارتها .

* العاصمة (عمان) وقد اتخذها جلالة الملك عبد الله عاصمة ولم يكن بها الا عدد قليل من السكان اما اليوم فان بها ما يقرب من السبعين الفاً .

* غير اسم شرق الأردن باسم « المملكة الاردنية الهاشمية » وضم اليها الجزء الغربي من الاردن الذي استولى عليه جلالة الملك عبد الله من فلسطين .

* النظام النيابي في شرق الاردن مبتدىء فيها مجلس يسمى « المجلس التشريعي » يعين الملك جزءاً كبيراً من اعضائه وينتخب الباقون .

* حاولت شرق الاردن ان تنضم الى هيئة الامم المتحدة ولكن روسيا وقفت في سبيل ذلك واستخدمت في هذا حق الفيتو عدة مرات .

* ترتبط شرق الاردن مع بريطانيا بمعاهدة تمنح بريطانيا امتيازات عسكرية واقتصادية ويطالب الاردنيون بتعديل هذه المعاهدة .

لبنـان

* يتكون لبنان من الشقة الساحلية الجبلية لغربي سوريا ويبلغ تعداد سكانه حوالى مليون نسمة والعاصمة بيروت وتبلغ مساحته نحو عشرة الآف كيلو متر مربع

* كان للبنان عند انسحاب تركيا حاكم فرنسي يعاونه مجلس استشاري وفي سنة ١٩٢٢ منح نظاماً تمثيلياً وفي سنة ١٩٢٦ وضع له نظام جمهوري الا انـه اوقف العمل به عام ١٩٣٢ لاسباب اقتصادية فعمل رئيس الجمهورية بلا برلمان . وفي سنة ١٩٣٤ تكون مجلس نيابي محدود

* في نوفمبر سنة ١٩٣٦ عقدت معاهدة لبنانية فرنسية تمنح لبنان استقلالاً في مدى ثلاث سنوات ولكن هذه المعاهدة لم يقرها مجلس النواب الفرنسي

* بعد خروج فرنسا من عصبة الامم سنة ١٩٤١ اصبحت قانونية الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان لاغية وفي ٨ يونيه سنة ١٩٤١ هاجمت لبنان وسوريا قوات بريطانية وفرنسية حرة ووعدت الاهالي بتحريرهما واستقلالهما

* حاول الفرنسيون بعد ذلك النكص على اعقابهم والرجوع عن وعودهم ولكن ايمان الوطنيين وثباتهم دفعهم الى الجلاء في اول يناير سنة ١٩٤٧ وأصبحت لبنان وسوريا دولتين حرتين مستقلتين

تونس

* يبلغ عدد التونسيين ثلاثة ملايين وربع ومساحة تونس تقدر بـ ١٢٥١٨٠ كيلومتراً مربعاً والعاصمة تونس .

* فرضت فرنسا الحماية على تونس في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ بمعاهدة سميت باسم « معاهدة باردو » ومع ان المعاهدة تنص على حماية البيت المالك والمعاونـــة في تقدم تونس ورقيها فان فرنسا اول من اعتدى على تونس والبيت المالك بها حيث خلعت جلالة المغفور له المنصف باي عن العرش ونفته الى الجزائر ففرنسا حـــتى مات هناك . وهي ايضاً تقف حجر عثرة في سبيل كل تقدم .

* توجد في تونس اقدم جامعات العـــالم وهي « الجامعة الزيتونية » وهي كالأزهر في نظامها .

* تنتج تونس سنوياً كميات كبيرة من الحبوب والمعادن اهمهـــا الفوسفات وكذلك المنتجات الزراعية والصناعية الاخرى وتصدر كلها الى فرنسا او بواسطتها . وبالرغم من وفرة الانتاج الزراعي فقد حدثت منذ عامين مجاعة لم يأبه لها الفرنسيون بل انهم منعوا دخول المعونة التي ارسلتها البلاد العربية والاسلامية .

* يشرف الفرنسيون في تونس على كل شيء اشرافـــاً فعلياً وهم يمعنون في التنكيل بالوطنيين وينتهجون سياسة ترمي الى ادماج تونس في فرنسا والقضاء على القومية العربية والاسلامية فيها .

* بعد وفاة المنصف باي اصبح جلالة الامين باي ملكاً طبيعياً على تونس لانه كان ولياً للعهد ونصب بعد عزل المنصف باي ويبلغ من العمر حوالي ثلاثـــة وستين عاماً .

* يضرب الفرنسيون حول تونس وغيرها من اقطـــار المغرب العربي ستاراً حديدياً فتمنع الكتب والصحف العربية من دخولهـــا وكذلك الاتصال الثقافي والاقتصادي ممنوع الا مع فرنسا .

مراكش

* عدد السكان ١٢ مليون بما فيهم المنطقة الخليفية ومساحة الارض ٥٠٠،٠٠٠ كيلو متر مربع دون حساب منطقة (ايفني) وهي مستعمرة اسبانية خـــالصة ومنطقة (شنجيط) وهي مستعمرة فرنسية ايضاً وهـــي ارض مراكشية كانت موحدة مستقلة حتى سنة ١٩١٢ .

* اعلنت الحماية الفرنسية على مراكش في (٣٠ مارس سنة ١٩١٢) وبعد الاحتلال اقتطعت اسبانيا جزءاً في الشمال واعلن النظام الدولي في طنجه سنة ١٩٢٣

* تحكم مراكش العائلة العلوية منذ القرن السابع والملك الحالي جـلالة محمد الخامس تولى العرش في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وينوب عنه في منطقة النفوذ الاسباني نائب يلقب بالخليفة وفي طنجه يسمى مندوب الملك والاول هو سمو الامير حسن ابن المهدي والثاني توفي في فبراير سنة ١٩٤٨ ولم يعين خلف له .

* في مراكش جامعة القرويين وهي كالازهر في مصر ولها مـا يقرب من الف سنة .

* بدأت مقاومة الاستعمار المسلحة منذ نزل الفرنسيون والاسبان واستمرت ما بين ١٩١٢ – ١٩٣٤ وكان اهمها حركة سمو الامير عبد الكريم الخطابي الذي قاوم الدولتين في وقت واحد .

* في سنة ١٩٣٠ ظهرت الاحزاب السياسية – حينما صدر الظهير البربري في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ وهو يقضي بالتفريق بين الوطنيين – تحت اسم كتلة العمل الوطني التي حلت في ١٩٣٦ بامر السلطة الفرنسية .

* ظهرت بعد ذلك احزاب اخرى مثل حزب الاستقلال برياسة السيد عـلال الفاسي وحزب الاصلاح .

الاتحاد الاسلامي المسيحي

بعد الحرب العالمية الاخيرة وانتشار المذاهب الهدامـة في الشرق وفي الغرب قامت فكرة الغرض منها الحض على التمسك بالدين لانه الوسيلة الفعالة للوقوف في وجه هذه المبادىء التي تسعى للقضاء على القيم والمبادىء الروحية للشعوب وكان ان رأينا رجال الدين في الغرب يحضون على التمسك بالمسيحية ومبادئها وكذلك في الشرق قامت الدعوات الاسلامية تعرض الاسلام كنظام اجتماعي وسياسي عام يصلح من امر الدنيا كما انه دين يقف في وجه هذه المبادىء ويضع حلولاً انجع واسلم للمشاكل العامة والخاصة . . وكذلك قام العلماء بمثل هذا كما ان المفكرين من رجال الاديان الاخرى كالبوذية والهندوكية قد دعوا الى التمسك بالدين للعودة بالناس الى القيم الروحية والقضاء على المادية التي سادت العالم بعد الحرب . .

كان هذا الاتجاه في دعوة كل اصحاب دين الى التمسك بدينهم نواة طيبـة لتعاون معتنقي ورجال الاديان على الوقوف في وجه هذه المبادىء الهدامة التي لا

تعترف بدين غير مبادىء لينين وستالين وكارل ماركس وغيرهما من دعاة الشيوعية .. وتجنيد القوى المختلفة للأديان على تنسيق العمل بينها .

ثم اتجهت الفكرة الى قيام اتحاد بين رجال الدين الاسلامي والدين المسيحي بل بين الحكومات الاسلامية والمسيحية من اجل هذا وكان اول ظهور لهذه الفكرة في الملايو .. حيث اجتمع لفيف من العلماء المسلمين ورجال الدين المسيحيين وبعض ممثلي الاديان الوثنية الاخرى وكونوا اتحاداً بينهم من مبادئه الحض على التمسك بكل دين والتعاون فيما بين رجال الاديان والتعارف والتقارب وترك الخلافات جانباً والعمل على صد تيار المبادىء الهدامة

* ثم نقلت هذه الفكرة الى الفاتيكان واميركا حيث ظهرت على السنة الرسميين فدعوا اليها وتردد صداها بين البلاد الاسلامية وخاصة مصر حيث أيد بعض رجالاتها الرسميين هذه الفكرة وكذلك بين الرسميين في أوربا وامريكا حيث أيد بعض رجالها الرسميين هذه الفكرة ايضاً ونحن نرى أنها فكرة طيبة وممكنة اذا قامت على الاسس الآتية :

١ — قيام اتحاد اسلامي يضم الدول الاسلامية يكون خطاً اول في مواجهة الشيوعية في الشرق

٢ — قيام اتحاد مسيحي يضم الدول المسيحية في الغرب يكون ايضاً خطاً امامياً في مواجهتها في الغرب

٣ — ان يتألف من الاتحادين الاسلامي والمسيحي اتحاد اسلامي مسيحي ينسق الجهود والتعاون في النواحي المشتركة

٤ — ترك رجال كل دين النقط الحساسة التي تمس الخلاف بين الاديان والدعوة بين معتنقي كل دين الى السماحة الانسانية والتعاون الانساني العام

٥ — ترك التبشير والدعوة ضد أي دين جانباً لتقوم روح من التعاون الصادق

٦ — عقد مؤتمر سنوي من رجال الدين للحض على المبادىء الانسانية العامة التي اشتملت عليها الاديان وبحث الوسائل المؤدية الى عالم تسوده المبادىء الروحية السامية .

٧ — مساعدة البلاد المحتلة من معتنقي الديانات على التحرر من الاستعمار حتى لا يكون الاحتلال والاستعباد سبباً من اسباب نمو المبادىء الهدامة بينها.

٨ — العمل على محو الخلافات الطائفية والمذهبية بين معتنقي الاديان .

٩ - قيام الرجال الرسميين بتنفيذ الخطط والمبادىء التي يقررها رجال الاديان لتدعيم وقيام اتحاد اسلامي مسيحي تسوده روح من التعاون الخالص المثمر .

١٠ - تبادل الزيارات بين رجال الدين والمحافظة على الاماكن المقدسة باتخاذ الخطوات الرسمية والدينية والشعبية الموصلة الى عدم العبث بها والضرب على ايدي المعتدين عليها او المحاولين لذلك .

الكتل الاقليمية وسيلة من وسائل تدعيم السلم العالمي

للاستاذ الشاذلي مكي

يجتاز العالم بصفة عامة والعالمان العربي والاسلامي بصفة خاصة ازمات سياسية واقتصادية واجتماعية يزيد في خطورتها تكالب الكتلتين الانجلو امريكانية والشيوعية على التسلح وحب السيطرة . الامر الذي يوجب على الشعوب المستضعفة ان تقارب ما بينها من وجهات النظر وتوحد جهودها عساها بذلك ان تدرأ عن العالم عذاب حرب ثالثة لا تبقي ولا تذر

وان نظرة خاطفة عجلى على عالم ما بعد الحرب الاخيرة تكفي لان تجعلنا نحن الشعوب المستضعفة نبتعد عن كلتي الكتلتين الانجلو امريكانية والروسية عاملين على انشاء اتحادات اقليمية موحدة الاهداف ظاهرة الغايات تشارك في السلم على ضوء ما تمليه مصالحها وما تتطلبه شعوبها لبناء مجدها ورفاهية ابنائها وضمان مستقبلها او تشارك في الحرب ايضاً على هدى مصالحها وسلامتها . ومتى وفقنا الى انشاء هذه الكتل البينة اهدافها الواضحة مقاصدها القوية اركانها خطونا الخطوة الثانية التي يتطلبها كل تطور وانشأنا من كتلنا الاقليمية الكثيرة المتجانسة الآمال الموحدة الآلام القوة الثالثة التي ليست ببلشفية ولا ايضاً انجلو امريكانية ، والتي يحسب لها حسابها كعامل قوي متين في السلم والحرب على السواء .

ومعنى هذا ان يعمل العرب اكثر مما عملوا على رأب الصدع وجمع الكلمة وتوحيد الجهود حتى يحققوا لشعوبهم ما يعلقونه من جسيم الآمال على جامعتهم العربية .

وهذه احدى الكتل الاقليمية التي يجب ان ينشأ على غرارها كتل لشعوب الشرق الاوسط وشعوب الشرق الاقصى والشعوب البلقانية والشعوب اللاتينية الامريكية ولشعوب اسكندناوة وهكذا دواليك .

فمن هذه الكتل الاقليمية جميعها يمكننا ان نكون بحق القوة الثالثة التي اليها

يوكل امر المحافظة على امن هذا العالم وسلامه . .

هذا هو الطريق الذي أراه يرد عن عالمنا العربي غوائل حرب ثالثة نكتوي بنيرانها ولا تكون النتيجة الا كالذي رأيناه بالامس وما الامس عنا ببعيد .

الوحدة الشرقية

بدأت فكرة الوحدة الشرقية بعد الحرب العالمية الاولى وكانت الداعية اليها اليابان التي كانت تريد أن تتزعم الشرق وتوجد كتلة منه للوقوف امام البلاد الاوروبية والامريكية وكان شعارها الشرق للشرقيين ولذلك فانها عملت على تشجيع الحركات الثورية في البلاد الشرقية المتاخمة لها ، واخذت هذه الفكرة تأخذ طريقها الى ادمغة بعض الزعماء والمفكرين في البلاد الشرقية مثل اندونسيا والهند وغيرهما ولكن لم يكن لهم من الظروف الملائمة ما يعاونهم على العمل من اجلها جدياً .

وجاءت الحرب العالمية الثانية واخذت اليابان تقوي من دعايتها لهذه الوحدة خصوصاً في البلاد التي احتلتها ولكن خذلانها في الحرب حال دون مضيها في هذا السبيل .

حملت لواء الدعوة بعد اليابان للكتلة او الوحدة الشرقية الهندستان بقيادة الزعيم نهرو الذي يرى ان تنضوي البلاد الشرقية الاسيوية تحت لواء من التعاون أساسه التشارك الاقليمي والجغرافي على ان يحدد مدى هذا التعاون البلاد التي تشترك فيه .

ولتنفيذ هذه الفكرة دعت الهندستان الى المؤتمر الاسيوي في اوائل مايو سنة ١٩٤٧ وحضره مندوبون عن البلاد الاسيوية وقد سمي « المؤتمر الدولي للعلاقات الاسيوية » وعقد في نيو دلهي ودعيت اليه مصر من غير البلاد الاسيوية بوصفها بلداً يسير في سياسة مشتركة بين بعض البلاد الاسيوية ويتزعمها ودعيت اليه ايضاً استراليا والبلاد الاسيوية الاخرى .

وانعقد هذا المؤتمر وبحث بعض القضايا التي تشغل اذهان الشرقيين واتخذ عدة قرارات فيها .

ثم لما تحرجت الامور في اندونسيا دعت الهندستان البلاد الشرقية مرة اخرى للتباحث في شأن القضية الاندونسية واتخاذ الاجراءات المؤدية الى نصرة الاندونسيين فاجتمع مندوبو البلاد الشرقية وايدوا اندونسيا في حركتها التحريرية .

وفي مقدمة المؤيدين لفكرة الكتلة الشرقية من غير زعماء الهندستان بعض زعماء اندونسيا مثل الدكتور حتي والدكتور شاهرير وغيرهما وزعماء الملايو والفلبين ويقوم احد زعماء الفلبين بالدعوة لحلف يسمى حلف الباسيفيكي يضم البلاد الاسيوية

وبعض البلاد الاخرى على غرار حلف الاطلنطي وهو اوسع من الحلف الشرقي .

وان وجود الكتلة الشرقيـــة على اساس المصالح المشتركة والتجاور الجغرافي كما يقول ويرى الزعمـــاء الذين ينادون بفكرة الكتلة الشرقة او الاتحاد الشرقي يكون اجدى واقوى من وجود كتلة على اساس الجنس او الدين لانهما غالبـاً — في رأيهم — ما يوجدان خلافات لا طائل تحتها مع البلاد الاخرى ... ثم ان عدد الدول المشتركة في حلف شرقي اكثر واقوى من الدول الـــتي يمكن ان يضمها حلف اسلامي او عربي .

ويرى بعض الموافقين على انشاء حلف شرقي انه لا مانع من قيـــام حلف اسلامي او جامعة اسلامية الى جانب الحلف الشرقي حيث لا تعارض وهناك هيئة الامم المتحدة تضم الامم المتحدة ثم ان بعض هذه الامم قد انشأت فيما بينهـــا احلافاً وكتلاً خاصة كحلف الاطلنطي ومحاولة عقد حلف البحر الابيض المتوسط وغيره .. فلا تعارض اذا ما قام حلف اسلامي بين البلاد الاسلامية نظراً للروابط الكثيرة بينها مع اشتراكها في حلف شرقي يضمها ويضم معها البلاد الشرقية الاخرى.

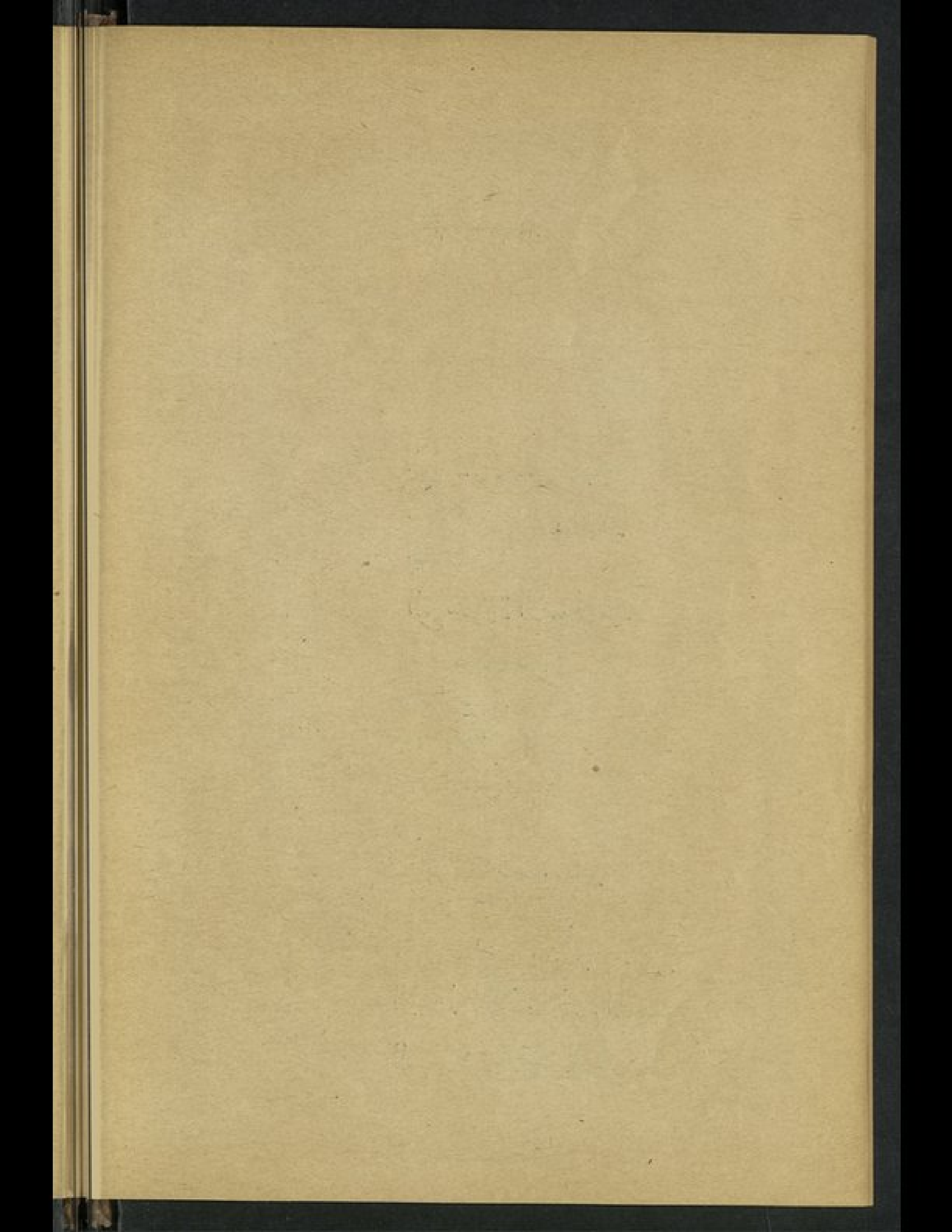
وهذا ما نذهب اليه لان وجود احلاف صغيرة تزيد من الروابط الى جانب الحلف الكبير اذا كانت النيات حسنة والمقصود من اقامـة الحلف الشرقي العمل لخير الشرقيين لا استغلاله اداة للتنافر او الدعاية او صرف النظر عن الاحـلاف الاخرى . كما انه لا تعارض مع قيام الجامعة الاسلامية الى جانب الجامعة العربية وقد صرح بذلك جلالة الملك محمد ظاهر شاه ملك افغانستان عند زيارته للقاهرة حيث قال انه لا مانع من قيام حلف اسلامي الى جانب الحلف الشرقي .

وعلى القائمين بالدعوة لهذا الحلف ان يسعوا الى حـــل الخلافات بـين الدول الشرقية أولاً حتى اذا ما قام حلف قام على أساس من التضامن والاخلاص .

كما ان عليهم ان يفكروا جدياً في مسألة ضم او عدم ضم الصين الشيوعية الى هذا الحلف وكذلك اليابان لانه اذا أريد ان يكون حلفاً شرقياً لمواجهة الشيوعية فسوف لا يضم الصين بطبيعة الحال أمـا اذا اريد ان يكون حلفاً عامـاً فسوف تضم اليه الصين في الوقت الذي تعمل الدول الاخرى فيه عـلى مقاومة المبادىء التي تسير عليها الصين وسيكون الامر حينذاك دقيقاً .

ولن يخرج الدول الاسلامية المشتركة في هذا الحلف الا قيام حلف آخر اسلامي بينها حتى لا يؤثر اشتراكها مع الصين — ان اشتركـت — على مقاومتها للشيوعية لانها تكون حينذاك مرتبطة بحلف قائم على اساس الدين وهو ما لا يمكن ان يمس.

فهرست



انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع

دار الكشاف

للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت - لبنان

في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٥٠ الموافق ١ صفر ١٣٧٠

